علم الاجتماع

بين

الاهتمامات النظرية

والاتجاهات المنهجية

الفرقة الثانية / دراسات اجتماعية

د / على طلبه محمد

كلية الآداب بقنا / جامعة جنوب الوادي

العام الجامعى 2024م / 2025م

المحتويات

م	الموضوع	عدد الصفحات
الفصل الأول	ميدان علم الاجتماع	4- 24
الفصل الثانى	المنهج العلمي والدراسات الاجتماعية	25- 42
الفصل الثالث	سوسيولوجيا العمليات الاجتماعية	43- 63
الفصل الرابع	رواد علم الاجتماع	64- 85
الفصل الخامس	التنشئة الاجتماعية	86- 97
الفصل السادس	الثقافة	98 - 114
المراجع	المراجع العربية والأجنبية	115- 121

الفصل الأول

ميدان علم الاجتماع

تمهيد:

بداية يجب أن نتسائل، **من الذي أطلق على علم الاجتماع هذه التسمية ؟، وهل كانت هي التسمية الوحيدة التي ظهرت لهذا العلم ؟، وهل حاول المشتغلون به تقديم تعريف محدد لهم ؟،وما هي مجالات اهتمام هذا العلم ؟،وما علاقته بالعلوم الأخرى ؟**،لا شك في أن الإجابة على هذه التساؤلات لابد منها من أجل التعرف على أسس هذا العلم.

ومن هذا المنطلق نعرض في هذا الفصل لعدة قضايا رئيسية هي:

أولا: تسمية علم الاجتماع.

ثانيا: تعريف علم الاجتماع.

ثالثا: استقلال علم الاجتماع.

رابعا: موضوع علم الاجتماع.

خامسا: أغراض علم الاجتماع.

سادسا: علاقة علم الاجتماع بالعلوم الأخرى.

أولا: تسمية علم الاجتماع:

كان الفرنسي" **أوجست كونت** " 1798-1857 هو الذي أطلق على هذا العلم الجديد " **علم الاجتماع** "sociology وذلك في عام1830 م، ولقد صاغ هذه التسمية من كلمة يونانية، وأخرى لاتينية، الكلمة الأولى logos وتعنى العلم، والثانية societies وتعنى المجتمعات أو الجماعات أو الأسرة أو القرية أو المدينة أو ما شابهها من صور الاجتماع الأخرى، وقد شاع استخدام هذه التسمية واعترف بها الجميع (1).

(1) Miltton L.Barron,edt,Contemporary Sociology, Dodd, eud,New Yourk,1965,p.1.

وهنا قد يتساءل البعض **"هل كانت كلمة علم الاجتماع هي التسمية الوحيدة التي أطلقت على هذا العلم منذ إنشائه حتى اليوم؟"**، وباستعراض تاريخ هذا العلم منذ نشأته حتى اليوم يجب أن نسلم بأن علم الاجتماع قد مر بثلاث مراحل تاريخية هي:

المرحلة الأولى : **مرحلة سابقة على نشأة هذا العلم ومهدت له :** ويمكن أن نشير في هذه المرحلة إلى التعبير القديم الذي ابتدعه الفرنسي **"سان سيمون"**، وهو " **الفسيولوجيا الاجتماعية** " ، وكذلك محاولة العلامة البلجيكي **" أودلف كيتيليه "** الذي أراد البلجيكيون أن يجعلوه أول منشئ لعلم الاجتماع الذي نشر عام 1838 م كتابا يعالج ظواهر الاجتماع " **الفيزياء الاجتماعية** " [1].

المرحلة الثانية : **مرحلة النشأة :** وفيها نستطيع أن نستشهد بما ورد في كتاب " **العبر** " الذي وضعه العلامة العربي المسلم **"عبد الرحمن ابن خلدون "**، ذلك الكتاب الذي اشتهر فيما بعد ب " **مقدمة ابن خلدون** "، هذا فضلا عن موقف **"كارل ماركس** " من الفلسفة الوضعية ورفضه لآراء كونت، وبالتالي رفضه للتسمية التي أطلقها،واقترح تسمية العلم الجديد **"علم المجتمع** " [2].

المرحلة الثالثة : **مرحلة التطور:** وفيها قدم لنا عالم الاجتماع الإنجليزي **" جيد ينجز** " اقتراحا آخر يقبل فيه تسمية **" كونت "** مع إضافة وصف

---

(1) مصطفى الخشاب : علم الاجتماع ومدارسه، الكتاب الأول، لجنة البيان العربي، القاهرة، 1958، ص 161.

(2) رينيه مونيه : المدخل إلى علم الاجتماع، ترجمة السيد محمد بدوي، دار الثقافة للنشر، الإسكندرية، 1969، ص 14.

آخر إليها،بحيث تصبح التسمية الجديدة للعلم هي"**علم الاجتماع الاستقرائي** "، كما يحتفظ عالم الاجتماع الفرنسي "**رينيه مونيه** " بنفس تسمية كونت غير أنه يفضل تسميته " **علم الاجتماع المقارن** " [1].

من الواضح أن علم الاجتماع لم تظهر له تسمية واحدة، وهنا نتساءل : **بأي شيء نفسر الاختلاف أو التباين بين التسميات العديدة التي ظهرت لعلم الاجتماع عبر تاريخ نشأته وتطوره ؟**، وللإجابة على هذا التساؤل يتضح أن الاختلاف بين هذه التسميات يمكن رده إلى **اعتبارين** هما [2]:

الأول: أن التسمية المفضلة لدى بعض هؤلاء العلماء كانت **تستند إلى تصور محدد لموضوع علم الاجتماع**، فمثلا تصور " **سان سيمون** " لموضوع علم الاجتماع بأنه "**دراسة لوظائف الظواهر الاجتماعية** مثلما تدرس العلوم الطبيعية وظائف الظواهر الطبيعية "، وهذا الذي جعله يطلق على علم الاجتماع اسم " **الفسيولوجيا الاجتماعية** "، أيضا أدى تصور " **كارل ماركس** " لموضوع علم الاجتماع بأنه **دراسة لبناء المجتمع** إلى رفض تسمية علم الاجتماع واقترح اسم " **علم المجتمع** " له.

الثاني : هو أن التسمية المفضلة لدى البعض الآخر من العلماء،كانت **تستند إلى تصور محدد للمنهج** الذي يجب اتباعه في هذا العلم، حيث يستند " **جيد ينجز** " في تسمية **علم الاجتماع الاستقرائي**،إلى اعتقاده بأن **المنهج** الذي يفضل اتباعه في علم الاجتماع هو" **المنهج الاستقرائي**،الذي يتدرج فيه الباحث

---

(1) على عبد الرازق جلبي : مقدمه في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص 18.

(2) نفس المرجع السابق : ص ص 18 – 19.

من الملاحظات الفردية للظواهر موضوع الدراسة حتى يصل إلى نتيجة عامة "، بمعنى أن الباحث ينتقل من الخاص إلى العام، أو من الجزئي إلى الكلى،أو من البسيط إلى المركب، وذلك عكس المنهج الاستنباطي،ومن ناحية أخرى كان "رينيه مونيه " يستند في تسمية العلم " **علم الاجتماع المقارن** " إلى اعتقاده أن **المقارنة** هي المنهج الأساسي في كل دراسة اجتماعية.

ثانيا: **تعريف علم الاجتماع**:

كانت عملية تعريف علم الاجتماع ولا تزال تمثل واحدة من المشاكل الجوهرية التي ظهرت مع بداية ظهور هذا العلم واستمرت مع تطوره، وإن كانت هذه المشكلة لم تصادف الاهتمام الكاف والعناية الدقيقة من جانب علماء الاجتماع منذ اللحظة الأولى، إلا أنها اليوم تحظى بأهمية بالغة من جانب علماء الاجتماع المحدثين وذلك لتقريب وجهات النظر التي قد تتصارع على مسرح هذا العلم [1].

ولم يكن تعريف علم الاجتماع سهلا أو أمرا يتم الاتفاق عليه دون جدل، ذلك لأن تعريف هذا العلم مرتبط ارتباطا تاما **بموضوعه ومنهجه**، بل وبعلاقاته بغيره من العلوم الاجتماعية وغير الاجتماعية وقد ترتب على ذلك أن **تعددت تعاريف علم الاجتماع** بتعدد العلماء وبتعدد النظريات والمذاهب التي اتجهت وجهات متعارضة في تحديد الحقيقة الاجتماعية وتفسيرها.

لذا كان من الضروري أن نعرض لعدد من التعريفات التي تنبع من إطارات واتجاهات ونظريات مختلفة كما يلي:

---

(1) غريب سيد أحمد وآخرون : المدخل إلى علم الاجتماع المعاصر، دار الكتب الجامعية، القاهرة، 1974، ص 7.

1- نلاحظ أن " **أوجست كونت** " قد عنى بتعريف الظاهرة الطبيعية والكيميائية والبيولوجية وتحديد موضوعات هذه العلوم، ولكنه لم يعطنا تعريفا للظاهرة الاجتماعية أو تحديدا لموضوع علم الاجتماع،لأن هذا العلم في نظره **يدرس كل الظواهر التي لا تدرسها العلوم الأخرى السابقة عليه في الظهور**، وكان يرى من العبث تحديد الظاهرة الاجتماعية لأنه يدرس الظواهر الإنسانية كافة بما في ذلك الظواهر الاجتماعية، ولذلك **فالإنسانية** في نظره هي موضوع العلم،وهى الحقيقة التي يرى أنها جديرة بالدراسة والبحث ([1]).

2- أما "**هربرت سبنسر** " فكان يرى أنه يتعين أنه يتعين على علم الاجتماع أن **يصف ويفسر نشأة وتطور النظم الاجتماعية** " كالأسرة ، الضبط الاجتماعي، العلاقات بين النظم "، وأنه يتعين على علم الاجتماع **أن يقارن** بين المجتمعات على اختلاف أنواعها، وبين المجتمعات على اختلاف تطورها، وأن يتناول ظواهر البناء والوظيفة كما تبدو في المجتمعات بصفة عامة ([2]).

3- جعل "**إميل دوركايم** " من **الظواهر الاجتماعية الموضوع الرئيسي لعلم الاجتماع**، ومن ثم حدد الخواص التي تميز هذه الظواهر عن غيرها من ظواهر الطبيعة والحياة غيرا لإنسانية وذلك في كتابه "**قواعد المنهج في علم الاجتماع**" ([3]).

4- ولكن " **ماكس فيبر** " يقدم تعريفا عاما لعلم الاجتماع بأنه " العلم الذي يحاول الوصول إلى **فهم تفسيري للفعل الاجتماعي** من أجل التوصل إلى تفسير سببي لمجراه ونتائجه ".

---

(1) مصطفى الخشاب : مرجع سابق، ص 169.

(2) محمد الجوهري وآخرون : مقدمة في علم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة، 1980 ، ص 38.

(3) محمد عاطف غيث : علم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة،1963، ص 57.

5- أما " **فلفريدو باريتو** " فيرى أن علم الاجتماع هو" العلم الذي يدرس **الظواهر الاجتماعية في تفاعلها** بعضها مع بعض،وفى أثر كل منها على الأخرى، كما يدرس **الوظائف التي تؤديها هذه الظواهر** والارتباط بينها " [1].

6- ويرى " **تالكوت بارسونز** " أن علم الاجتماع ينصب اهتمامه على دراسة **الأنساق الاجتماعية** [2].

7- مال **كثيرمن علماء الاجتماع** منذ ظهور علم الاجتماع حتى اليوم إلى تعريف مختصر وهو " أن علم الاجتماع **علم المجتمع** ، باعتبار أن المجتمع عبارة عن سلوك أي جماعة مكونة من أعضاء يحيون حياة متساندة ووسيلتهم إلى ذلك التفاعل والعلاقات المتبادلة، وعلى ذلك يكون موضوع علم الاجتماع **دراسة السلوك الاجتماعي الإنساني**، مع التأكيد على أهمية التفاعل الإنساني الذي يعبر عن سلوك الإنسان في علاقته بإنسان آخر، وهذا يعنى أن علم الاجتماع هو " **مجموعة من التعليمات المترابطة تدور حول السلوك الاجتماعي الإنساني الذي نصل إليه عن طريق استخدام المناهج العلمية** " [3].

8- يعرف " **أوجبرن ونيمكوف** " علم الاجتماع بأنه " **الدراسة العلمية للحياة الاجتماعية** "، فيقولان أن الحياة الاجتماعية تقوم على التفاعل الذى يؤدى إلى التنظيم الاجتماعي والذي يؤدى بدوره إلى خلق أشياء كثيرة " كالمباني

---

(1) محمد عاطف غيث : مرجع سابق، ص 108.

(2) على عبد الرازق جلبي : مرجع سابق، ص 22.

(3) محمد عاطف غيث : علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993، ص 25.

والموسيقى والأخلاق والآلات" ،أي إلى **خلق الثقافة**، وما دام علم الاجتماع يدرس هذا كله فإنه صالح لأن يكون **علما عاما يعالج الخصائص المشتركة بين الجماعات والمجتمعات المختلفة** [1].

9- أما " **سوركين** " فيرى أن علم الاجتماع **علم عام وخاص** في نفس الوقت، فهو **عام**" لأنه يدرس الخصائص العامة للعالم الاجتماعي الثقافي ككل، وهو **خاص** لأن دراسة هذه الخصائص تقتضي تخصصا لا يقل عن تخصص علم الطبيعة أو الاقتصاد [2].

10- ويرى " **روبرت ماكيفر** " أن علم الاجتماع هو **دراسة للعلاقات الاجتماعية** التي يتكون من نسيجها المجتمع، كما أنه يعتقد أن علم الاجتماع بدراسته للمجتمع على هذا النحو يحدد علاقته من العلوم الأخرى، لأنه لا يوجد علم آخر يجعل المجتمع موضوعه الأساسي في الدراسة، وهذا يعنى أن " **ماكيفر** " يرى أنه طالما كان موضوع علم الاجتماع دراسة المجتمع، فإنه **لا يدرس الثقافة**، ولا يتعرض لها إلا في أضيق الحدود عندما تكون الإشارة إلى المؤثرات الثقافية ضرورية في فهم العلاقات الاجتماعية أو المجتمع ككل، ويحاول "**ماكيفر** " أن يبرر وجهة نظره فيقول " أننا في علم الاجتماع لا ندرس الدين كدين، ولا الفن كفن، ولا الاختراع كاختراع، وإلا فسوف نواجه كل نشاط الإنسان وكل ما تعلمه خلال تاريخه الطويل، وربما كان **ماكيفر** يعتقد أن دراسة الثقافة تفصيلا وبيان آثارها على الحياة

---

(1) Ogburn & Nimkoff,A. Hand Book of sociology, London,1960.pp 13–15.

(2) Sorokin: Society, Culture and Personality, N. Y , 1947,P.17.

الاجتماعية موضوع علم آخر هو **الأنثروبولوجيا الثقافية**، ولكن القدر الذي يعطيه علماء الاجتماع اليوم للثقافة واهتمامهم بإبرازها في التحليل السوسيولوجى، يدل على أن علم الاجتماع وهو يحاول أن يتعمق الحقيقة الاجتماعية يجتهد أن يبرز المؤثرات الهامة في بنائها وتغيرها، وربما كانت دراسات التغير الاجتماعي هي النقطة الحاسمة في الرد على **ماكيفر**، لأن أحدا في ميدان علم لاجتماع لا يستطيع أن يدرس التغير دون أن يركز على أهم عوامله " **الثقافة** " [1].

11- ويرى " **جونسون** " أن علم الاجتماع هو العلم الذي يتناول بالدراسة **الجماعات الاجتماعية** ، من حيث صور أو نماذج تنظيمها الداخلي، والعمليات التي تميل إلى استمرار أو تغير هذه الصور التنظيمية والعلاقات التي توجد بين الجماعات [2].

وهذا يعنى أن **جونسون** يعرف علم الاجتماع في ضوء **الفعل الاجتماعي الهادف** الذي يتحرك لبلوغ غايته داخل الجماعة، وما يترتب على الوجود الاجتماعي من تفاعل وعلاقات وصور متعددة للنشاط، تشمل كل مطالب الإنسان، ونظرا لأن الثقافة تهيئ وتعدل وتغير عددا كبيرا من مطالب الإنسان هذه، فإن **جونسون** يهتم بدراستها وخاصة لما لها من تأثيرات جوهرية في عمليات هامة في المجتمع كالتنشئة الاجتماعية.

مما سبق ومن خلال العرض السابق لعدد من التعريفات التي أوردها علماء الاجتماع، بشأن **ماهية علم الاجتماع**، نجد أنهم لا يتفقون على تحديد

---

(1) MacIver & Page : Society , London , 1953,pp.50-53.

(2) Johnson : Sociology,london,1961,pp.2-6.

واضح ومحدد لماهية علم الاجتماع، ولعل هذا **يمكن إرجاعه** إلى عاملين هما:

الأول: الخلاف على **طبيعة العلم وخصائصه** بالتطبيق على دراسة المجتمع، وينحصر الخلاف هنا على **نوع الحقائق التي تصلح للمعالجة العلمية، وخصائص المنهج الصالح للتطبيق**، ومثال ذلك ما ذهب إليه " **لندبرج** " من أن علم الاجتماع يمكن أن يستخدم **مناهج وأفكار العلوم الطبيعية**، لأنه هو الآخر علم طبيعي، وما ذهب إليه آخرون من أن الحقيقة الاجتماعية من طبيعة مختلفة عن الحقيقة الطبيعية، ولذلك تتطلب معالجة مختلفة.

الثاني: الخلاف على **الوحدة الاجتماعية في التحليل السوسيولوجى وأبعادها** أو الأساس الذي يقوم عليه المجتمع " هل هو **الفعل أو العلاقة أو الجماعة** "، وأي منهم يمكن اعتباره أصغر وحدة تصلح كنقطة بدء في الدراسة.

وأخيرا.... يمكن القول بأن **علم الاجتماع** هو **" علم وصفى تقريري يرمى إلى دراسة شئون الحياة الاجتماعية من ظواهرونظم وعلاقات، دراسة علمية تحليلية مقارنة لشرح ما هوو اقع، وليس لبيان ما ينبغي أن يكون ".**

ثالثا: **استقلال علم الاجتماع**:

يمكن القول بأن العلامة العربي المسلم " **عبد الرحمن ابن خلدون** " هو **أول من قرر ضرورة قيام علم العمران والمجتمع البشرى**، وأول من اعتبره **علما مستقلا بذاته ، فحدد موضوعاته وعالج مسائله ووصل إلى طائفة غيريسيرة من القوانين الاجتماعية**،غير أن بحوث **ابن خلدون** لم يتح لها ما كانت تستحقه من الذيوع والانتشار، ولذلك غمضه التاريخ حقه ونسب الفضل في إنشاء هذا

العلم إلى الفيلسوف الفرنسي " **كونت** " فهو أول من وضع في الفلسفة الحديثة كلمة **sociology** ومعناها **علم الاجتماع**، وقرر أنه أنشأ هذا العلم **لتحقيق وحدة التفكير الوضعي وعموميته**، غير أنه لم يكن موفقا في التزام أسس الدراسة التي نبه إليها، ولذلك جاءت قوانينه أقرب إلى التصورات والفروض الفلسفية، ثم جاء تلميذه " **دوركايم** " فبذل جهدا لتخليص علم الاجتماع من الفلسفة ، ووضع دعائم أساسية يرسى عليها هذا العلم قواعده ، ثم درس موضوعاته وعالج مسائله ووصل من هذه الدراسة إلى تقرير طائفة من القوانين الاجتماعية، ومنذ ذلك الحين اهتم العلماء بهذا العلم الجديد الذي تزعم رغم حداثته سائر المعارف، واعتبر علم العلوم وأسماها قصدا وأنبلها غاية، لأنه يدرس الاجتماع الإنساني ونظمه وظواهره.

وكان من الطبيعي أن أول سؤال يثيره المفكرون هو " **إلى أي حد يعتبر علم الاجتماع علما مستقلا ؟، وإلى أي مدى تتوافر فيه شروط العلم المستقل؟** "،وللإجابة على هذا التساؤل يتطلب الوقوف على **الشروط الضرورية للعلم المستقل**، والوقوف على مبلغ توافرها في علم الاجتماع وأهم هذه الشروط [1] :

أ- وجود طائفة متميزة من الظواهر يتخذها العلم موضوعا للدراسة والبحث: وهذا الشرط ضروري لأن ظواهر العلوم إن لم تكن مستقلة استقلالا نسبيا لاختلطت موضوعات هذه العلوم، ويكاد ينفرد " **دوركايم** " في تشخيص الظاهرة الاجتماعية وإبراز خصائصها، وهذه الظواهر يتخذها علم الاجتماع مجالا لدراسته، **وتمتاز هذه الظواهر** بما يلي:

---

(1) مصطفى الخشاب : مرجع سابق، ص ص 7 – 9.

1- تعرف **الظـــاهرة الاجتماعيـــة** " بأنها نتائج تأثير شخص أو جماعة أو مجتمع محلى على شخص آخر، وينطوي هذا التأثير على كل نماذج السلوك الذي يحدث بين الناس وعلى جميع المواقف الاجتماعية".

2- الظواهر الاجتماعية " **تلقائيـة** " ليست من صنع فرد أو بضعة أفراد، ولكنها من صنع المجتمع ومن خلقه، وتظهر على مسرحه بصورة طبيعية تلقائية.

3- أنها " **تمثل جانبا جديدا في حياة الإنسان** " فإذا كان الإنسان بمقتضى طبيعته النفسية يشعر ويحس ويتألم ويتخيل، وإذا كان بمقتضى طبيعته البيولوجية يأكل ويشرب ويتنقل من مكان لآخر، فإن طبيعته الاجتماعية الجديدة تفرض عليه أن يعيش في مجتمع ويتعامل مع أفراده ويتفاعل معهم ويخضع للأوضاع السياسية والاقتصادية والتربوية واللغوية الكائنة بالمجتمع.

4- الظاهرة الاجتماعية تتصف " **بالعمومية والانتشار** " أي يشارك فيها معظم المجتمع.

5- تمتاز بأنها " **مترابطة ومتداخلة** " ويفسر بعضها البعض، ويؤثر بعضها في البعض، فلا يمكن دراستها منفصلة عن بعضها أو منفردة، فالأسرة كظاهرة اجتماعية مثلا مرتبطة بالظواهر الاقتصادية، والاقتصادية مرتبطة بالسياسة...وهكذا.

6- الظاهرة الاجتماعية " **تاريخية** " بمعنى أنها سابقة في الوجود على الوجود الفردي.

7- أنها تتسم " **بالقسر والجبر والإلزام** " فهي تستطيع أن تفرض نفسها على الفرد أراد ذلك أم لم يرد.

8- الظاهرة الاجتماعية " **معقدة** " أي لا يمكن إرجاعها لسبب واحد لأنها تعود إلى عوامل متعددة.

9- الظاهرة الاجتماعية " **نسبية ومتغيرة من حيث الزمان والمكان** "، فالزواج مثلا يختلف من حيث تطور أشكاله على مر العصور، كما أنه يختلف من مجتمع لآخر.

ب - خضوع هذه الطائفة من الظواهر لمنهج علمي: نجد أن لعلم الاجتماع مناهج متعددة تخضع لها ظواهره في دراستها، فكان " **المنهج التاريخي** " هو أول المناهج التي استخدمها علم الاجتماع في بادئ الأمر، تلاه **المنهج التجريبي ومنهج دراسة الحالة والمسح الاجتماعي** ".

ج- الوصول إلى طائفة غير يسيرة من القوانين والنظريات العلمية: فلقد توصل علماء الاجتماع في ضوء المناهج السابقة إلى طائفة غير يسيرة من **القوانين الاجتماعية** وإن كانت هذه القوانين لا تزال محدودة، ولم تصل بعد إلى مرحلة القوانين الطبيعية، فإن ذلك لا يقلل من شأنها باعتبار أن علم الاجتماع علم حديث.

رابعا: **موضوع علم الاجتماع**:

تكاد تكون معظم الاتجاهات العامة متفقة على أن موضوع العلم هو" **دراسة المجتمع في بنيته ونظمه وظواهره،دراسة علمية وصفية تحليلية، الغرض منها الوصول إلى القوانين التي تحكمها** " ، ولكن ميدانا واسعا كهذه السعة قد يقضى على شخصية العلم

ويسيء إليه، وهذا ما دعا علماء الاجتماع إلى تحديد ميدان العلم وتضييق اختصاصاته، غير أنهم اختلفوا في بحث هذا الموضوع، وانقسموا إلى ثلاث طوائف هي[1]:

الأولى: مدرسة العلاقات: يرى أنصار هذه المدرسة أن موضوع علم الاجتماع هو " **دراسة العلاقات الاجتماعية** "، ويتزعم هذه المدرسة " **جورج سيمل ،الفريد فركانت ، ماكس فيبر**" ، ويبنى هذا الفريق رأيه، على أساس **الفصل بين شكل العلاقات الاجتماعية ومضمونها**، فإذا درست من حيث شكلها " أي طبيعتها الصورية " كانت **موضوع علم الاجتماع**، أما إذا درست من حيث **مضمونها** كانت **موضوع لعلم آخر**،لأن العلاقات التي تنشأ بين الأفراد كالتنافس والخضوع موجودة في مختلف ميادين الحياة الاجتماعية، فهناك تنافس وصراع في شئون السياسة والاقتصاد، وهناك خضوع في الأسرة وفي دور العبادة ، ووظيفة علم الاجتماع هو " **تحليل هذه المظاهر المختلفة للعلاقات الاجتماعية حتى تتعرف على خصائصها ومقوماتها، ثم محاولة تفسيرها في صورتها المجردة بعيدا عن مضمونها الاجتماعي** ".

وقد تعرضت آراء هذه المدرسة لانتقادات أدت إلى انقسامها إلى اتجاهين:

الأول: أصر على دراسة العلاقات الاجتماعية مجردة.

الثاني: انقسم إلى:

أ- يرى بدراسة العلاقات الاجتماعية الثابتة والمنظمة فقط كما هي في الواقع.

ب-يرى بدراسة العلاقات الثابتة وغير الثابتة المنظمة وغير المنظمة.

---

(1) انشراح الشال : مدخل في علم الاجتماع الإعلامي، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، 1985، ص ص 18 – 20.

الثانية: المدرسة الاجتماعية : ويذهب هذا الفريق إلى " **ضرورة قيام علوم اجتماعية جزئية بجانب علم الاجتماع، يتناول كل منها دراسة ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية، على أن تقتصر وظيفة علم الاجتماع العام على وضع المبادئ العامة وتصوير السمات العامة للحياة الاجتماعية وتنسيق النتائج ووضع مناهج البحث** "، ويشبه هذا الفريق علم الاجتماع بشجرة كبيرة جذورها في أرض المجتمع وساقها هو علم الاجتماع العام، وفروعها وأغصانها هي العلوم الاجتماعية الفرعية، وثمارها هي القوانين الاجتماعية، ومن أعضاء هذا الفريق " **دوركايم، جند برج، سان سيمون، ووارد** " ، ومن هنا يجب أن نؤكد أن آراء هذا الفريق **أكثر واقعية وتعبيرا عن طبيعة علم الاجتماع وطبيعة الموضوعات التي يقوم بدراستها وبحثها.**

الثالثة: أصحاب الآراء الخاصة: وعلماؤه لا يمثلون اتجاها محددا، ولكن آرائهم تعبر عن وجهات نظرهم الخاصة، فمنهم من يذهب إلى أن موضوع علم الاجتماع هو دراسة **التغير الاجتماعي** ومنهم من يذهب إلى أن موضوع علم الاجتماع هو دراسة **النظم الاجتماعية،** ومنهم من يرى أن العلم يجب أن يدرس المقومات التي تدفع بالمجتمع إلى **التطور** وتؤدى به إلى الوحدة والتآلف بين أفراده.

خامسا: أغراض علم الاجتماع:

من المعروف أن علم الاجتماع **علم نظري هدفه دراسة حقائق الاجتماع، دراسة علمية وصفية تحليلية بنفس الطريقة التي تدرس بها العلوم الطبيعية والكونية ظواهرها،** أي أنه يهتم بالدراسة التقريرية الموضوعية دون أن يتأثر بوجهات النظر الخاصة ، وبدون أ ن يكون هناك مجال لتدخل الآراء الشخصية والأهواء والأفكار السابقة ، ولذلك فإن الأغراض

التي يرمى إليها أغراض نظرية في معظمها، ولما كان علم الاجتماع علما إنسانيا فينبغي الانتفاع بنظرياته وبحوثه في الارتقاء بأحوال الجنس البشرى، وهذا يعنى أن علم الاجتماع له [1]:

أ- أغراض نظرية: تتمثل في:

1-دراسة الحقائق الاجتماعية وظواهر المجتمع للوقوف على عناصرها وكيف ومم تتكون ولمعرفة المبادئ العامة للحياة الاجتماعية والدعائم التي ترتكز عليها.

2- دراسة أصل الظواهر والحقائق الاجتماعية والتطورات التي مرت بها على مر العصور، والعوامل التي أدت إلى هذا التطور وساعدت عليه، لأن الظواهر الاجتماعية متطورة متغيرة بتغير الزمان والمكان.

3- دراسة وظائف الظواهر الاجتماعية، وتطور هذه الوظائف مع الزمان واختلافها مع المكان، إذ أن لكل ظاهرة وظيفتها الخاصة، فمثلا الزواج وظيفته تنظيم العلاقة بين الرجال والنساء.

4- بحث العلاقات الاجتماعية والروابط المختلفة، والتعرف على مدى التفاعل

الذي يحدث بين الأفراد وبعضهم، وبين الجماعات وبعضها.

5- دراسة العلاقات والتأثيرات المتبادلة ما بين الأفراد والتجمعات الإنسانية، وبين الظروف البيئية والطبيعية والجغرافية.

6- يهدف علم الاجتماع إلى الكشف عن القوانين والنظريات الاجتماعية التي تخضع لها الظواهر الاجتماعية سواء في أصلها ونشأتها أو في تغيرهما وتطورهما أو في تأثيراتها المتبادلة.

---

(1) أحمد رأفت عبد الجواد : مبادئ علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، 1990، ص ص 26 – 27.

ب- أغـراض عمليـة : إن نظريـات علـم الاجتمـاع والقواعـد العامـة التـي يـتم التوصل إليها في ميدان دراسة المجتمع تفيد عمليا في مشاريع الإصلاح والتخطيط الاجتماعي، فعلم الاجتماع بكشفه عن الحقائق الاجتماعية يساعد بلا شك على توجيه الإصلاح المنشود وفق ما تتطلبه ظروف المجتمع ودرجة تطوره.

سادسا: **علاقة علم الاجتماع بالعلوم الأخرى**:

يرتبط علم الاجتماع بطائفة لا حصر لها من البحوث والدراسات العلمية التي تمده وتغذيه بمعلومات زاخرة تخدم أغراضه في الوصول إلى القوانين الاجتماعية لذلك نجده على **صلات وثيقة بمختلف العلوم** كما يلي:

أ-صلته بعلم التاريخ: يرتبط علم الاجتماع بعلم التاريخ، لأن عالم الاجتماع لابد من رجوعه إلى الماضي للوقوف على طبيعة الحقائق الاجتماعية وتطورها ومعرفة الوظائف التي كانت تؤديها النظم الاجتماعية، وهذا لا يتأتى إلا بالرجوع إلى التاريخ لأنه سجل الماضي الحافل بمختلف مظاهر النشاط الإنساني.

على الباحث الاجتماعي أن يختار من الحقائق التاريخية ما يخدم أغراضه التي تكون في كثير من الأحوال متممة أو مصححة لعمل المؤرخ، فلابد من رجوعه إلى تاريخ الآداب والفلسفة والقانون والنظم والفنون،لأن هذه الألوان التاريخية تعكس لنا تاريخ الأمم، وتصور لنا عاداتها وتقاليدها وعرفها، وما كانت تزاوله من طقوس وعادات ([1])، كما يجب على المؤرخين أن يستفيدوا من النظريات الاجتماعية،ويصححوا حقائقهم في ضوء ما تقرره القوانين التي تسير وفقا لها ظواهر العمران.

---

(1) نفس المرجع السابق : ص 32.

ب- **صلته بعلم الجغرافيا:** فعلم الجغرافيا يدرس البيئة الطبيعية وما تحويه من موارد تحت الأرض كالمعادن المختلفة، وما فوقها كالنباتات والغابات والجبال، بالإضافة إلى التضاريس والمناخ، كل ذلك له تأثير في نشاط الأفراد وفى توجيههم الاقتصادي وعلى عاداتهم وتقاليدهم.

ولقد غالى كثير من المفكرين أمثال " ابن خلدون " في تقدير قيمة العوامل الجغرافية ومبلغ تأثيرها في شئون الحياة الاجتماعية،غير أن هذه المغالاة كانت تنطوي على خطأ بالغ، لأن الإنسان إذا كان يخضع في تكيفه لظروف البيئة الجغرافية، فإنه أيضا هو الذي استطاع أن يوجد البيئة التي تلائمه وترضيه،وهو الذي لا يكف عن المحاولات تلو المحاولات ليسخرها وفق إرادته ويستغلها وفق حاجته (1) [1].

ج- **صلته بعلم الاقتصاد:** إذا كان علم الاقتصاد يدرس وسائل الإنتاج والتوزيع، فإن علم الاجتماع يدرس أثر توزيع الثروة على نظام الطبقات الاجتماعية، ومدى الفروق الاجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد، وأثر هذه الفروق على كيان المجتمع بصفة عامة، كما أن علم الاجتماع في حاجة إلى دراسة النظريات والمذاهب الاقتصادية، ومدى تأثيرها على المشاكل الاجتماعية المختلفة.

فبينما يدرس الاقتصاد ظاهرة التداول مثلا على أنها حقيقة واحدة تتداول بمقتضاها السلع بطريق النقود، فيبحث في الأسعار والعوامل التي تؤدى إلى انخفاضها وارتفاعها بمقتضى قوانين العرض والطلب،التي تقرر أنه كلما زاد العرض وقل الطلب انخفض السعر وبالعكس، كلما قل

---

(1) حسن همام وآخرون : مدخل إلى علم الاجتماع، دار الثقافة للنشروالتوزيع، القاهرة، 1982، ص 76.

العرض وزاد الطلب ارتفع الثمن،بينما علم الاجتماع ينظر لتلك الظاهرة على أنها متطورة ومتعددة، وتختلف باختلاف المجتمعات، فيثبت أن التداول كان ولا يزال في بعض المجتمعات المتخلفة يقوم على أساس المقايضة أو الهدايا الملزمة التي تتبادلها القبائل في مناسبات اجتماعية خاصة " كالمواسم والأعياد والحفلات الدينية "،وأن النقود ليست هي الوسيلة الوحيدة لتداول السلع والخدمات [1].

د- صلته بعلم السياسة: لكل مجتمع نظامه السياسي الذي يشمل شكل الحكومة واختصاص السلطات القائمة فيه، وحقوق الأفراد وواجباتهم، وعلم الاجتماع يدرس مدى تأثير هذه النظم السياسية على النظم الاجتماعية الأخرى في المجتمع، فمثلا إذا كان النظام السياسي القائم في مجتمع ما يقوم على الروح الديموقراطية، فإن لذلك أثره في نواحي الحياة المختلفة في هذا المجتمع، فيتأثر بها التعليم وحرية الرأي والحرية الاقتصادية.

فعلم السياسة مثلا يهتم بوضع دستور المجتمع يحدد اختصاصات هيئاته " التشريعية، التنفيذية، القضائية "،بينما علم الاجتماع يعنى بدراسة أثر النظام السياسي على الوظائف الاجتماعية، وعلى حقوق الأفراد وواجباتهم، ويقارن بين أثر النظم السياسية المختلفة على هذه النواحي في المجتمعات التي تتباين في نظامها السياسي [2].

هـ- صلته بعلم النفس : يبحث علم النفس في دراسة سلوك الإنسان وغرائزه وانفعالاته وميوله الفردية، ولما كان الفرد لا يعيش إلا في وسط جماعي، فإنه يتكيف ويتأثر بالبيئة الاجتماعية،وينتج عن ذلك أنواع من النشاط

---

(1) انشراح الشال : مرجع سابق، ص ص 27 – 28.

(2) محمد عاطف غيث : مرجع سابق، ص ص 55 – 56.

النفسي لا يمكن أن يدرسها علم النفس الفردي، فظاهرة " المحاكاة والتقليد والميول الاجتماعية كالمشاركة الوجدانية والتعاون،ودراسة الذوق العام والقيادة والزعامة وآثارها على المجتمعات والرأي العام "، كل تلك الأمور وما إليها أصبحت موضوعا مشتركا بين علم النفس وعلم الاجتماع، بل أن فرع علم النفس الذي يعنى بدراسة هذه النواحي يعرف الآن باسم " علم النفس الاجتماعي"[1].

و- **صلته بعلم الاجتماع الإعلامي** :إذا كان علم الإعلام يدرس خصائص وسائل الإعلام المختلفة وتطورها وانتشارها، فإن علم الاجتماع يدرس اختلاف وسائل الإعلام باختلاف المجتمعات، فبينما يدرس علم الإعلام الخصائص العامة لكل وسيلة من وسائل الإعلام، فإن علم الاجتماع يدرس النظم الاجتماعية التي تؤثر في هذه الوسائل داخل المجتمع، إذ أن علم الاجتماع ينظر إلى هذه الوسائل على أنها متعددة ومتطورة، وترتبط بظروف المجتمع الذي تعمل فيه، أي أنها لا تعمل منفردة، بل تتأثر كما تؤثر في النظم والظواهر الاجتماعية الأخرى [2].

فوسائل الإعلام مثلا في القرية تختلف عن وسائل الإعلام في المدينة، وإذا كانت السمة الغالبة على نظام الحكم في مجتمع ما هي الديكتاتورية، فإن ذلك ينعكس على وسائل الإعلام التي تصبح يومئذ بوقا للجهاز الحاكم، بل إن ذلك يؤثر أيضا في حجم الإعلام داخل هذا المجتمع الذي ينعدم فيه صوت المعارضة، كذلك النظام الاقتصادي في المجتمع يتأثر ويؤثر في

---

(1) انشراح الشال : مرجع سابق، ص ص 29 – 30.

(2) عبد الحليم محمود السيد : علم النفس الاجتماعي والإعلام " المفاهيم الأساسية "، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1979 , ص ص 1 – 2.

وسائل الإعلام، فإن دور وسائل الإعلام يختلف في دولة رأسمالية عنه في دولة اشتراكية، كما أن محتوى وسائل الإعلام نفسه يختلف باختلاف النظام الاقتصادي.....وهكذا.

من خلال العرض السابق..... يتضح أن علم الاجتماع يرتبط ارتباطا وثيقا بمعظم فروع المعرفة، إلا أن هناك حقيقة يجب إبرازها، وهي أن طبيعة الدراسة في علم الاجتماع تختلف عنها في العلوم الاجتماعية الأخرى، ويمكن أن نفرق بين دراسة علم الاجتماع لهذه الظواهر ودراسة بقية العلوم الاجتماعية لها كما يلي:

1- أن وجهة النظر في كليهما مختلفة، فعلم الاجتماع يدرس الظواهر دراسة كلية، بمعنى أن عالم الاجتماع يعنى بدراسة التفاعلات والعلاقات المختلفة بين الظواهر بغض النظر عن الأغراض التي حدث من أجلها من حيث كونها سياسية أو اقتصادية أو أخلاقية.

2- أن علم الاجتماع يدرس الظواهر على أنها ظواهر متعددة العوامل، أي تفسرها ظواهر اجتماعية أخرى، عكس بعض العلوم الاجتماعية الأخرى مثل علم الاقتصاد الذي يعزل الظواهر الاقتصادية ويحاول تفسيرها بعوامل اقتصادية بحتة.

3- تتجه العلوم الاجتماعية الخاصة إلى التخصص الدقيق، الأمر الذي أدى إلى اختيارها لموضوعات براقة في الحياة الاجتماعية على حساب باقي الموضوعات، كما أدى من جانب آخر إلى محاولتها تحقيق أغراض تطبيقية عملية، بينما بقي علم الاجتماع علما نظريا يحاول الكشف عن حقيقة الظواهر الاجتماعية وقوانينها وعلاقاتها السببية والوظيفية.

الفصل الثانى

المنهج العلمى والدراسات الاجتماعية

تمهيد:

يتوقف تقدم أى علم من العلوم على وجود منهج للبحث محدد واضح المعالم، يساعد فى التوصل إلى معرفة منظمة بجوانب الواقع، ويعتمد الدارسون على هذه المعارف فى تشييد النظريات العلمية، وفى إعادة فحصها من جديد للتأكد من صدقها أو إضافة عناصر جديدة لكي يصبح أكثر شمولا وتكاملا.

والعلم معرفة منظمة يبدأ بالواقع وينتهي إلى تفسيره، والباحث العلمى يسلك طريقا خاصا من أجل الحصول على هذه المعرفة مستندا فى ذلك إلى مجموعة من القواعد التى تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة، من خلالها يستطيع الباحث أن يتوصل إلى مجموعة من المبادئ والقضايا العامة التى تمثل عناصر البناء النظرى، وهو ما يوصف "بالمنهج العلمى ".

وإذا كان الباحث يلتزم بتطبيق المنهج العلمى، فعليه أن يحدد نوع الدراسة التى يرغب فى دراستها سواء أكانت" دراسة كشفية، أو وصفية، أو تلك التى تختبر فروضا سببية "، من هذا المنطق نعرض فى هذا الفصل لما يلي:

أولا: خطوات المنهج العلمى.

ثانيا: أنواع الدراسات الاجتماعية.

أولا: **خطوات المنهج العلمى**:

يؤكد الكثير من المهتمين بمناهج البحث العلمى أن **المنهج العلمى** لم يكن موضع اهتمام إلا مع مطلع **عصر النهضة** وفى **القرن السابع عشر** على وجه الخصوص ، حينما أصدر " **بيكون** " مؤلفا عام 1620 صاغ فيه بوضوح قواعد المنهج التجريبى ،كما كتب" **ديكارت** "عام 1637مقالا طالب فيه بتبنى " **طريقة الشك المنهجى** " (1)[1] التى تقوم على إعادة النظر فيما هو قائم لاكتشافه من جديد من خلال قواعد محددة للبحث عن الحقيقة وصولا إلى اليقين .

وكان هذا يمثل ثورة فى البحث العلمى على الطرق التقليدية فى البحث، التى كانت تقوم على الاستدلال والقياس الأرسطى باعتباره لا ينتهي بنا إلى جديد يضاف إلى رصيد المعرفة، وهكذا تحول المنهج إلى استقراء الوقائع الجزئية وترتيبها داخل نسق ينتهى إلى القضايا العامة التى تفسر طائفة كبيرة من الوقائع، وأصبح المنهج العلمى هو المنهج الاستقرائي.

والمنهج ترجمة للكلمة الإنجليزية Method ، استعملها " **أفلاطون** " بمعنى البحث أو النظر أو المعرفة ، واستخدمها " **أرسطو** " (2) [2]بمعنى **طائفة من القواعد العامة المصاغة من أجل الوصول إلى الحقيقة فى العلم** ، ولذا حاولت بعض الكتابات وضع تعريف للمنهج العلمى من بينها:

---

(1) على سامي النشار: مناهج البحث عند مفكرى الإسلام، دار المعارف، الإسكندرية ،1965، ص23.

(2) عبد الحميد محمود سعد : مرجع سابق ، ص 28.

1- يرى البعض أن المنهج العلمى " **هو الوسيلة التى نتمكن عن طريقها للوصول إلى الحقيقة أو مجموعة الحقائق فى أى موقف من المو اقف، ومحاولة اختبارها للتأكد من صلاحيتها فى مو اقف أخرى وتعميمها لتصل إلى ما نطلق عليه اصطلاح " نظرية "** (1). [1]

2- وهناك من يرى بأن **المنهج العلمى** " هو **الإجابة أو النتيجة التى يخلص إليها الباحث بعد طرح تساؤل مؤداه: كيف يمكن حل مشكلة البحث؟** " (2)[2]، ونحن نصف الخطة التى يرسمها الباحث لحل هذه المشكلة بأنها منهجه فى البحث (3) [3].

3- وفريق ثالث يرى أن **المنهج العلمى** هو الطريق المؤدى إلى الكشف عن الحقيقة فى العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التى تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة " (4)[4].

مما سبق يمكن القول بأن **المنهج العلمى** " **هو ذلك الأسلوب الذي يسيروفق مجموعة من الخطوات بقصد تحقيق هدف البحث، سواء كان الهدف نظريا أم عمليا، وتبدأ هذه الخطوات بالملاحظة والتجربة، ووضع الفروض العلمية واختبارها، وحتى الوصول إلى التعميمات العلمية** ".

خطوات المنهج العلمى: يمر المنهج العلمى بعدة خطوات تبدأ **بالملاحظة والتجربة ثم وضع الفروض العلمية ومحاولة التحقق من صدقها أو بطلانها بغية التوصل إلى القو انين والنظريات العلمية**، وفيما يلي عرض لهذه الخطوات كما يلي:

---

[1] **(1) محمد على محمد: البحث الاجتماعى. مرجع سابق، ص 46.**

[2] **(2) جمال زكى, السيد يس: أسس البحث الاجتماعى, دار الفكر العربى, القاهرة ,1962, ص 8.**

[3] **(3) علياء شكرى وآخرون: قراءات معاصرة فى علم الاجتماع, دار النشر المتحدة, القاهرة, 1972, ص 181**

[4] **(4) عبد الرحمن بدوى: مناهج البحث العلمى, دار النهضة العربية, القاهرة, 1963, ص 1.**

أ- **الملاحظة والتجربة:** الملاحظة قاعدة العلم فهى نقطة البدء عند جمع الشواهد ، ثم لا يلبث العالم أن يعود إليها مرة أخرى لكى يتحقق من صحة النتائج والاستخلاصات ([1]1) ، فالاستقراء العلمى يبدأ بملاحظة الظواهر على النحو الذى تبدو عليه بصفة طبيعية ، وتنصب الملاحظة فى أى علم من العلوم على مجموعة الظواهر التى اتخذها ذلك العلم ميدانا للدراسة والبحث ، ففى علم الاجتماع يقوم الباحث بملاحظة المجتمع وبنيته ونظمه وظواهره والعلاقات بين أفراده .

والملاحظة نوعان (2):

الأولى: الملاحظة البسيطة: وهي تلك التى لا تهدف إلى الكشف عن حقيقة علمية محددة أو غاية نظرية واضحة، ويدخل هذا النوع من الملاحظة فى نطاق المعرفة الحسية، ومن الممكن أن تتحول إلى ملاحظة علمية، فيصل عن طريقها الباحث إلى تقرير حقائق علمية على جانب كبير من الأهمية، ويمكن التمثيل لهذا النوع من الملاحظات بما حدث " لنيوتن " حينما لاحظ تفاحة تسقط من شجرتها، فاسترعى سقوطها انتباهه، فشرع فى دراسة سقوط الأجسام، وانتهى من دراسته إلى تقرير قانون الجاذبية الأرضية.

الثانية: الملاحظة العلمية: وهي أعلى مكانة وأسمى درجة من الملاحظة العرضية، فتتميز بوضوح الغاية التى تسعى إليها وهي الكشف عن الخواص الرئيسية للظاهرة المدروسة، ومعرفة الظروف التى أوجبت وجودها، توصلا إلى كسب معرفة جديدة وتحقيق هدف علمى محدد، كما تعتمد على نظريات

---

[1] (1) محمد على محمد: البحث الاجتماعى ، مرجع سابق ، ص 47.

(2) عبد الباسط محمد حسن: مرجع سابق، ص ص 33- 35.

دعمتها حقائق العلم، فكثيرا ما يسترشد الباحث بإحدى النظريات العلمية فى توجيه ملاحظاته إلى عوامل ومتغيرات جديدة أو فى تفسير ملاحظاته تفسيرا علميا صحيحا.

وقد استفادت العلوم الطبيعية من هذا الأسلوب فى البحث، وكلما زادت قوانين العلم ونظرياته، كانت الملاحظة العلمية أكثر دقة ووضوحا، ولا يكتفى الباحث العلمى بالحواس فى ملاحظة الظواهر، بل يستعين بأجهزة مختلفة وذلك ضمانا لدقة النتائج من ناحية وتفاديا لقصور الحواس من ناحية أخرى.

وهكذا نستطيع القول بأن **الملاحظة العلمية** مخططة بطريقة منظمة من أجل تحقيق أهداف البحث كما أنها مصدرا من مصادر الحصول على البيانات كما أن **نجاحها يتوقف على تو افرعدة شروط** منها (1) [1]:

1- من الضرورى أن تكون الملاحظة شاملة، بحيث تحيط بكافة العوامل المؤثرة فى إحداث الظاهرة.

2- من الضرورى أن تكون الملاحظة موضوعية أى مجردة من كل طابع أو تقدير شخصى يتسع فيه مجال الخطأ قليلا أو كثيرا.

3- من الضرورى التثبت من طريقة دراسة الظواهر المختلفة المرتبطة بواقعة ما، بحيث يستعين الباحث فى دراسته بكافة الأدوات والأجهزة والوسائل التى تمكنه من إجراء ملاحظة دقيقة لتلك الظواهر.

أما **التجربة** : يرى البعض أن الملاحظة وحدها لا تكفى لمعرفة جميع الحقائق العلمية ، ولذلك كان من الضرورى استخدام التجربة وما هى إلا

---

[1] **(1) محمد على محمد: البحث الاجتماعى، مرجع سابق، ص 49.**

ملاحظة علمية تحت الضبط الناتج عن التحكم ، إما من جانب الباحث أو من جانب الطبيعة (1) [1]،والقائم بالتجربة يستطيع أن يعدل الظاهرة بحيث تبدو فى أنسب وضع صالح لدراستها ، كما أنه يستطيع أن يكرر التجربة ويعيدها تحت ظروف مختلفة ، ويلاحظ النتائج التى يحصل عليها فى كل مرة ويقارن بينهما .

نخلص مما سبق: أن **الملاحظة والتجربة** باعتبارهما أولى خطوات المنهج العلمى تقوم بتوجيه تفكير الباحث إلى وضع الفروض العلمية، ولذا فكل ملاحظة لا توجه تفكير الباحث إلى فكرة يمكن التحقق من صدقها تعد خطوة غير مجدية، وكل تجربة لا تساعد على وضع أحد الفروض تعد تجربة عقيمة لا فائدة منها.

ب- **وضع الفروض العلمية:** تعتبر الفروض العلمية مجرد أفكار مبدئية تتولد فى عقل الباحث عن طريق الملاحظة والتجربة، وهذه الأفكار ينبغى أن تكون قابلة للاختبار العلمى الدقيق وتعتمد الفروض على خبرة الباحث السابقة فى موضوع بحثه وما يتصل به من موضوعات وقدرته على استغلال معلوماته السابقة وإلمامه بمختلف جوانب الثقافة القائمة فى المجتمع (2)[2].

ورغم أهمية **الفروض للبحث العلمى** إلا أن بعض العلماء يحاربونها لأنها فى نظرهم تبعد الباحث عن الحقائق ، لأنها تعتمد على تخيل العلاقات بين الظواهر ، كما أنها تدعوا إلى تحيز الباحث ناحية الفروض التى يضعها ،

---

[1] **(1) عبد الحميد محمود سعد: مرجع سابق، ص 24.**

[2] **(2) عبد الباسط محمد حسن: مرجع سابق، ص 37.**

ومن العلماء من يكتفى بمحاربة الفروض التى لا يمكن التحقق من صحتها ، ومنهم من يقف منها موقف الحذر ويرفض أن يعترف بوظيفتها الأساسية فى المنهج العلمى (1)[1]، ومع ذلك لا يمكن أن ننكر بأن للفروض أهمية كبيرة فى البحوث التجريبية ، فهى توجه الباحث إلى نوع الحقائق التى يجب أن يبحث عنها بدلا من تشتيت جهوده دون غرض محدد ، كما أنها تساعد على الكشف عن العلاقات الثابتة التى تقوم بين الظواهر .

ويجب على الباحث ألا يتسرع فى وضع الفروض، وأن يستمدها من الملاحظات والتجارب التى يقوم بها، وألا يجعلها مخالفة للحقائق المقررة والقوانين العلمية، كما يجب عليه أن يصوغ الفروض بطريقة تجعلها قابلة للاختبار (2).

نخلص مما سبق: أن الفروض هى قضايا تصاغ من أجل اختبارها إمبيريقيا، وقد تجئ نتائج الاختبار محققة لتلك الفروض، وقد تدفعنا نفس هذه النتائج إلى التخلي عن الفروض، وهذا يعنى أن صياغة الفروض خطوة رئيسية فى البحث العلمى، ومن الضرورى أن يوليها الباحث عناية فائقة.

ج- **اختبار الفروض :** من أهم خطوات المنهج العلمى، فالفرض فى حد ذاته ليست له قيمة علمية ما لم تثبت صحته إثباتا موضوعيا مقنعا، وغالبا ما يؤدى الفرض إلى إجراء التجارب والقيام بملاحظات جديدة وذلك للتأكد من صدقه والتثبت من صحته ، وهناك مجموعة من القواعد يجب أن

---

[1] **(1) محمد على محمد: البحث الاجتماعى، مرجع سابق، ص 57.**

(2) زيدان عبد الباقى: مرجع سابق، ص ص 59- 61.

يسترشد بها الباحث فى التحقق من صحة الفروض التى يختبرها كما يلى (1) [1]:

1- تعتبر "**طريقة الحذف**" من الطرق المتبعة فى البحوث العلمية التى تحاول إيجاد علاقة بين عامل واحد وبين الظاهرة موضوع الدراسة ، وتنحصر هذه الطريقة فى" أن يضع الباحث جميع الفروض الممكنة لتفسير ظاهرة معينة ، ثم يتم حذف الفروض التى لا يؤيدها الواقع ، أو التى لا يمكن إثباتها "،وكثيرا ما تتمخض هذه الطريقة فى العلوم الطبيعية عن استبقاء فرض واحد يقوم عليه البرهان بطريقة علمية ،أما إذا ثبت خطأ الفروض جميعا ، فهذا يعنى أن الباحث لم يستوعب جميع الحلول الممكنة ولم يصل بعد إلى الفرض الصحيح ،ولذا وجب عليه أن يعيد الملاحظات والتجارب ويضع فروضا جديدة ، ثم يحاول التحقق من صدقها حتى يصل إلى الفرض الصحيح الذى يمكن إثباته عمليا .

2- عند إجراء التجارب العلمية يجب على الباحث **ألا يختبر أكثر من فرض واحد فى الوقت نفسه**، وألا ينتقل من فرض إلى أخر إلا إذا تأكد من خطأ الفرض الأول، وألا يتحيز الباحث لفروضه، بل يكون على استعداد لأن يستبعد جميع الفروض التى لا تؤيدها نتائج التجارب والملاحظات العلمية، فالعلم لا يستفيد فقط من الفروض الصحيحة، بل يستفيد أيضا من الفروض التى يثبت بطلانها

3- إذا وجد الباحث نفسه **أمام فرضين متناقضين، فعليه أن يبرهن على خطأ إحداهما**، حتى يتأكد من صدق الآخر، وإذا وجد أن التجارب تؤيد صحة الفرض الذى

[1] (1) عبد الباسط محمد حسن: مرجع سابق، ص ص 38- 40.

وضعه فعليه أن يقوم بإحصاء جميع الفروض المرتبطة بالفرض الأول، ثم يتأكد من صدقها لاكتشاف القانون الذى تخضع له الظاهرة التى يقوم بدراستها.

مما سبق يمكن أن نستنتج: أن الفروض ليست لها قيمة علمية ما لم تثبت صحتها إثباتا موضوعيا مقنعا، فالفروض التى يتعذر معها التحقق من مدى صحتها فروض عديمة الجدوى، ومعنى ذلك أن الفرض يتعين أن يحدد على نحو يسمح بإجراء التجربة للتحقق من مدى صدقه.

د- الوصول إلى تعميمات علمية: إذا أيدت التجارب والملاحظات العلمية صحة فرض من الفروض دون أن يوجد فرض آخر يناقضه أو يتعارض معه ، فإن هذا الفرض الصادق يمهد لاكتشاف القانون الذى يفسر الظاهرة التى يقوم بدراستها، وكلما تقدم علم من العلوم حاول الإقلال من عدد القوانين المستقلة فيه ، ومد نطاق العلاقات القائمة بينها، وذلك بالربط بينها فى قانون عام واحد يطلق عليه " قانون القوانين "(1)[1]، ولا ينتهى المطاف بالعلماء عند وضع القوانين العلمية ،فاكتشاف القوانين يدعو إلى وضع النظريات التى تعمل على تفسير الحقائق والقوانين.

نخلص مما سبق:

أن المنهج العلمى يقوم أساسا على منهج قوامه الاستقراء يسير وفق مجموعة من الخطوات تبدأ بملاحظة الظواهر وإجراء التجارب، ثم وضع الفروض التى تحدد نوع الحقائق التى ينبغى أن يبحث عنها، مرورا بمحاولة اختبار هذه الفروض للتأكد من صدقها أو بطلانها، وصولا إلى التعميمات العلمية.

[1] (1) عبد الحميد محمود سعد: مرجع سابق، ص 25.

يجب أن ندرك بأنه إذا كان منهج البحث العلمى يقوم أساسا على استقراء الوقائع، فإن ذلك لا يعنى بالطبع أن الباحث العلمى يقف عند مستوى الوقائع ويظل مستغرقا فيها، كما أنه من جهة أخرى لا يدرس كل الوقائع المعطاة، وإنما عليه أن يختار من بينها ما يحصر نطاق دراسته فيه، فالعلم يطرح أمامنا عددا لا نهائيا من الظواهر التى يمكن دراستها بواسطة العلم، لكن العلم يختار من هذه الظواهر بالتجريد طائفة يسعى إلى تفسيرها.

ثانيا: **أنواع الدراسات الاجتماعية**:

يرى المهتمون بمناهج البحث أن البحوث والدراسات الاجتماعية يمكن تصنيفها على أساس " **مستوى المعلومات المتوفرة لدى الباحث ، الهدف الرئيسى للبحث** " ، فإذا كان **ميدان الدراسة جديدا** لم يتطرق إليه أحد من الباحثين من قبل ، اضطر الباحث للقيام **بدراسة استطلاعية "كشفية "** ، بهدف استطلاع الظروف المحيطة بالظاهرة التى يرغب فى دراستها، وإذا كان **الموضوع محددا** عن طريق بعض الدراسات التى سبق إجراؤها فى الميدان ، أمكن **القيام بدراسة وصفية** ، بهدف تقرير خصائص الظاهرة وتحديدها تحديدا كميا وكيفيا ،أما إذا كان الميدان **أكثر تحديدا ودقة** أمكن للباحث القيام **بدراسة تجريبية** للتحقق من صحة بعض الفروض العلمية .

ومن هذا المنطلق يمكن **تقسيم البحوث والدراسات الاجتماعية** إلى ثلاثة أنواع هى:

1- الدراسات الاستطلاعية " الكشفية – الصياغية " : لاشك فى أن ميدان العلوم الاجتماعية زاخرا بالكثير من البحوث والدراسات التى لم يتطرق إليها أحد من الباحثين من قبل ، ولذا يجد الباحث الاجتماعى صعوبة فى

تحديد المشكلات التى يوليها الاهتمام بالدراسة والبحث، وإذا وجد المشكلة قد يصعب عليه تحديدها وصياغتها بدقة، ومن ثم عدم تحديد فروضها وقضاياها ، ومن هنا وجب عليه إجراء الدراسة الاستطلاعية أو الكشفية، بهدف الكشف عن حلقات غامضة فى تسلسل التفكير الإنسانى يساعد فى الربط والتحليل والتفسير العلمى الذى يضيف إلى المعرفة الإنسانية ركائز جديدة (1) [1].

وهذا النوع من الدراسات يكون أكثر مشقة بالنسبة للباحث، لما تتطلبه من قدرات ومهارات ذاتية للباحث حتى يستطيع أن يكون موضوعيا فى دراسته، ويمكن تحديد أهم أهداف البحوث الكشفية فى الأتى(2)[2]:

أ- صياغة مشكلة البحث صياغة دقيقة تمهيدا لبحثها بحثا متعمقا.

ب- التعرف على أهم الفروض التى يمكن إخضاعها للبحث العلمى الدقيق.

ج- زيادة ألفة الباحث بالظاهرة المراد دراستها.

د- توضيح المفاهيم المرتبطة بموضوع البحث.

هـ- ترتيب الموضوعات حسب أهميتها فى البحث.

و- جمع بيانات عن الإمكانيات العلمية لإجراء البحث فى الميدان الواقعى.

ز- إمداد الباحثين بأهم الموضوعات الجديرة بالبحث.

ونتيجة لجهل الباحث بالكثير عن طبيعة الموضوع الذى يدرسه، لذا يستلزم هذا النوع من البحوث قدرا كبيرا من المرونة والشمول وعدم التحديد

---

(1) محمد طلعت عيسى: تصميم وتنفيذ البحوث الاجتماعية، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة ،1971، ص 73.

[2] (2) عبد الله عامر الهمالى: أسلوب البحث الاجتماعى وتقنياته، منشورات جامعة قاريونس، بنغازى ،1994، ص 93.

الدقيق ، ويرى البعض أن هناك بعض القواعد التى يجب أن يلتزم بها الباحث عند القيام بدراسته الاستطلاعية هى (1)[1]:

1- الاطلاع على البحوث والدراسات السابقة: ينبغى على الباحث أن يكون ملما بالدراسات والبحوث التى أجريت فى الميدان الاجتماعى، وكذلك الميادين التى لها صلة بدراسته، والتى من خلالها يستنبط أفكار جديدة لها قيمتها العلمية، كما أنها تعمق فهمه لموضوع البحث، وبالتالى يتمكن من تحديد الأبعاد الحقيقية له.

2- استشارة ذوى الخبرة والمهتمين بموضوع البحث: يجب على الباحث أن يتصل بالأشخاص الذين لهم صلة بموضوع الدراسة للتعرف على آرائهم وأفكارهم حول متغيرات الدراسة وتحديد جوانبها.

3- تحليل بعض الحالات المثيرة للاستبصار: وذلك من أجل تزويد الباحث باستبصارات جديدة عن الموضوع الذى يرغب فى دراسته، فالباحث قد يتخير بعض الأفراد ويجرى معهم مقابلات حرة ، ويترك لهم حرية الانطلاق والتعبير عن الأفكار التى لها صلة بموضوع الدراسة ، كما يوجه لهم بعض الأسئلة عن النواحى التى يرغب فى معرفة المزيد عنها، ويترك لهم حرية الاستطراد فى الإجابة طالما أن الاستطراد له صله بموضوع البحث، ويرى البعض أنه للوصول إلى البحوث الكشفية المبتكرة ،فإن على الباحث أن تكون لديه المهارات والقدرات الآتية (2) [2]:

أ- استعداده لتحمل صدمات الفشل فى الوصول إلى تحقيق هدف البحث.

---

[1](1) عبد الباسط محمد حسن: مرجع سابق ، ص ص 189- 193.

[2](2) محمد طلعت عيسى: مرجع سابق ، ص ص 74 – 75.

ب- القدرة على ترتيب وربط الأفكار المتناثرة بحيث يشكل منها وحدة فكرية متكاملة من ناحية المضمون.

ج- إعطاء مصادر التوثيق تقييما مناسبا لوزنها العلمى.

د- التدرج فى تحديد مصادر التوثيق من الاتساع إلى الضيق، بحيث يتمكن من وضع الظاهرة موضوع الدراسة فى أوسع دائرة ممكنة للرؤية.

2-الدراسات الوصفية: هى ذلك النوع من الدراسات التى تستهدف تقرير خصائص ظاهرة معينة أو موقف تغلب عليه صفة التحديد، وتعتمد على جمع الحقائق وتحليلها وتفسيرها لاستخلاص دلالتها ، وتصل عن طريق ذلك إلى إصدار تعميمات بشأن الموقف أو الظاهرة التى يقوم الباحث بدراستها ، ويرى البعض أن الدراسات الوصفية هى التى تجمع بياناتها لا لخدمة غرض بذاته محدد سلفا، ولا لفائدة جامع البيانات نفسه، وإنما يقصد بها توفير البيانات لخدمة سائر الباحثين فى أغراضهم المتعددة ، كما أن الدراسات الوصفية لا تقف عند مجرد جمع البيانات والحقائق، بل تتجه إلى تصنيف الحقائق والبيانات وتحليلها ثم استخلاص النتائج وتعميمها(1)[1].

يطلق البعض على **الدراسات الوصفية** " **دراسات المكانات أو المراكز** " لأنها تعنى بوصف المكانات والأوضاع القائمة فى المجتمع فى فترة معينة ،ويطلق عليها آخرون" **الدراسات القاعدية أو المعيارية** " لأنها تعنى بتحديد القواعد العامة والمعايير السائدة بين أفراد المجتمع الواحد ،ويطلق عليها فريق ثالث "**الدراسات المسحية** "لأنها تحاول تحديد طبيعة الظاهرة ومعرفة

[1] (1) عبد الحميد محمود سعد: مرجع سابق، ص 26.

خصائصها ، ويسميها فريق رابع " **بالمسح المعيارى** " ، وإن كان اصطلاح الدراسات الوصفية هو الأكثر شمولا وعمومية من التسميات السابقة(1)[1].

وهذا النوع من البحوث **لا يتضمن فروضا** تذهب إلى أن متغيرا معينا يؤدى إلى متغير آخر، وهذا لا يعنى أنها تحصر أهدافها فى جمع الحقائق فقط، وذلك لأن الباحث يتناول البيانات التى جمعها بالتحليل والتفسير لكى يستفيد من هذه البيانات فى توضيح مجموعة من الارتباطات المحتملة بين الظواهر دون أن يؤكدها، وهذا يتطلب قدرا كبيرا من المعلومات التى تدور حول المشكلة موضوع البحث (2) [2]، وتتميز الدراسات الوصفية بأنها تتجه إلى الوصف الكمى أو الكيفى للظواهر المختلفة بالصورة التى عليها فى المجتمع للتعرف على تركيبها وخصائصها ، كما أنها تعنى بحصر العوامل المختلفة المؤثرة فى الظاهرة .

وتتطلب **الدراسة الوصفية** الاقتصاد فى الجهد الذى يبذل فى البحث مع الحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات، والتقليل من احتمال التحيز فى وصف عناصر الموقف أو الظاهرة موضوع الدراسة ، هذا ويمر البحث الوصفى بمراحل هى (3)[3] :

أ- تحديد أهداف البحث وتحديد النقاط الرئيسية والفرعية التى يرغب الباحث فى دراستها.

ب- تحديد المفاهيم المستخدمة فى البحث.

---

[1] (1) عبد الباسط محمد حسن: مرجع سابق ، ص 199.

[2] (2) جمال زكى ، السيد يس: مرجع سابق ، ص 85.

[3] (3) عبدالله عامر الهمالى: مرجع سابق ، ص ص 97 – 99.

ج- تحديد المنهج أو المناهج المستخدمة فى البحث.
د- تحديد الأدوات اللازمة لجمع البيانات.
هـ- تحديد مجالات البحث الثلاثة " البشرى، المكانى، الزمنى ".
و- جمع البيانات من الميدان إما بنفسه أو بمساعدة باحثين آخرين.
ز- مراجعة البيانات للتأكد من اكتمالها وثباتها، ثم تصنيفها فى مجموعات.
ح- تحليل البيانات وتفسيرها وصياغة المقترحات العلمية وكتابة تقرير البحث.

3- الدراسات التى تختبر الفروض السببية :وتتميز بأنها **أكثر ضبطا ودقة وإحكاما** من الدراسات الكشفية والوصفية ، فالباحث يلجأ إلى الدراسة الكشفية وهو يجهل الكثير عن الموضوع الذى يدرسه ، لذلك يعمد إلى تضمينها أسئلة كثيرة تساعده على تحديد الأبعاد الحقيقية للمشكلة، فإذا استطاع أن يحدد هذه الأبعاد استطاع أن ينتقل فى الدراسة الوصفية إلى وصف الظاهرة وتقرير خصائصها وتحديد الظروف والمظاهر المحيطة بها ،وقد يضمن دراسته بعض **الفروض المبدئية** ،كما أنه من الممكن أن يمضى الباحث فى دراسته دون أن تتضمن فروضا من أى نوع (1) [1]فإذا ما وصل الباحث إلى هذه المرحلة استطاع أن ينتقل إلى المرحلة الثالثة من البحث، فيصوغ فروضا تتناول علاقات سببية أو وظيفية (2) [2]، وهذا يوضح أن هذا النوع من الدراسات يستهدف **اختبار بعض الفروض** التى يود الباحث أن يتأكد من صدقها عن طريق التجربة .

---

[1] **(1) غريب عبد السميع غريب: مرجع سابق, ص 93.**

[2] **(2) عبد الحميد محمود سعد: مرجع سابق ، ص 27.**

لاختبار الفروض السببية يستعين الباحث بعدد من المناهج أهمها " **المنهج التاريخى ،منهج دراسة الحالة ،المنهج التجريبى** " وذلك حينما يحاول استخلاص الحقائق عن الحالة الفردية وديناميا تها للتحقق من صدق أحد الفروض السببية والمنهج التجريبى (1)[1] .

نستنتج مما سبق:

أولا: أن تحديد نوع الدراسة من الخطوات الهامة والضرورية التى يضعها الباحث فى اعتباره حينما يفكر فى دراسة مشكلة بحثية أو ظاهرة اجتماعية، فإذا **كان الميدان جديدا فإنه يتجه إلى " الدراسات الكشفية** " لتحديد مشكلة البحث وتحديد متغيراتها تمهيدا لبحثها بحثا متعمقا، أما **إذا كان الموضوع محددا** عن طريق دراسات سابقة، **فيوم الباحث" بدراسة وصفية** " بهدف تقرير خصائص الظاهرة وتحديدها، أما **إذا وجد الباحث الميدان أكثر تحديدا ودقة فيتجه إلى" الدراسات التجريبية** " للتحقق من صحة بعض الفروض العلمية.

ثانيا: يرى المشتغلون بمناهج البحث أن **الدراسات الكشفية تستلزم مرونة فى التصميم أكثر مما تستلزمه الدراسات الوصفية،** لأن الباحث يبدأ دراسته الكشفية وهو يجهل الكثير عنها، ولكنه يلجأ إلى الدراسات الوصفية بعد أن تكون قد أجريت بحوث كشفية فى الميدان الذى يدرسه، أما **البحوث التجريبية فتستلزم من الباحث قدرا كبيرا من الدقة والضبط والإتقان** فمن خلالها يصوغ الباحث فروضا سببية ويتحقق من صحتها.

---

[1] **(1) عبدالباسط محمد حسن: مرجع سابق ، ص 202.**

ثالثا: يلاحظ أن " **الدراسات الكشفية** " **تخلو من الفروض**، على حين أن " **الدراسات الوصفية** " **قد تتضمن فروضا**، إذا كانت المعلومات المتوفرة لدى الباحث تمكنه من ذلك، أما " **الدراسات التجريبية** " فلزاما على الباحث أن يضع لها **فروضا دقيقة ومحددة**، بحيث تدور الدراسة حول محاولة التحقق من صحتها أو خطئها.

الفصل الثالث

سوسيولوجيا العمليات الاجتماعية

تمهيد:

ذهب " **تيماشيف** " إلى أن اختبار النظريات الاجتماعية الماضية والحاضرة تدور حول عدد قليل من المسائل من بينها موضوع المجتمع، فقد تساءلت هذه النظريات، عما هو **المجتمع؟ وما العلاقة بين المجتمع والثقافة والشخصية؟ وما العوامل التي تحدد حالة المجتمع أو التغير فيه؟.**

اتفق علماء الاجتماع على أن **دراسة المجتمع** تمثل أحد موضوعات الدراسة الأساسية في علم الاجتماع، حيث يرى " **اليكس أنكلز** " أنه لا يتحتم على علم الاجتماع أن يقتصر على دراسة جانب واحد فقط من جوانب الحياة الاجتماعية، وإنما يمكنه دراسة الكيان الكلى، أي أن علم الاجتماع يمكن أن يتخذ المجتمع وحدة للتحليل، ومن ثم يصبح هدفه الكشف عن الصلات التي تربط النظم الاجتماعية التي تكون المجتمع.

كما أن **العمليات الاجتماعية** تنشأ بين الأفراد نتيجة لحدوث التفاعل فيما بينهم، فالإنسان كائن اجتماعي، والعلاقات الاجتماعية بين بنى الإنسان لا تنشأ إلا على أساس من التفاعل المقصود، ويختلف هذا التفاعل بحسب المفاهيم التي تتبناها المجتمعات، لذلك يتخذ هذا التفاعل أشكالا مختلفة باختلاف وتعدد مفاهيم المجتمعات، ومن هذا المنطلق نعرض في هذا الفصل لما يلي:

أولا: ما المجتمع؟.

ثانيا: العمليات الاجتماعية.

أولا: **ما المجتمع**؟:

يمثل المجتمع الموضوع الكبير الذي يكون ميدان الدراسة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ونظرا لضخامة هذا الميدان وتعدد أطرافه وتعقد مسالكه، فقد تخصصت علوم كثيرة في جزء أو آخر طلبا لمزيد من الدقة، وعلم الاجتماع حين يدرس المجتمع يحاول أن يغوص وراء الحقيقة الاجتماعية التي تفسر إمكانية المجتمع وشروط بقائه، وتكشف الستار عن أسباب التجمع والتفرق والتنوع والتغير وما يترتب على هذا كله من نتائج على الأفراد، وما يظهر على سلوكهم بسبب تفاعلهم المستمر.

***تعريف المجتمع:** إذا كان علماء الاجتماع قد اتفقوا على أن دراسة المجتمع تعد من أهم الموضوعات التي يجب أن يدرسها علم الاجتماع، إلا أنهم قد اختلفوا اختلافا كبيرا حول تعريف المجتمع لفترة طويلة كما يلي:

1- يرى " **توماس إليوت** Thomas Elliot " المجتمع بأنه " جماعة من الناس يتعاونون لقضاء عدد من مصالحهم الكبرى، التي تشمل حفظ الذات ودوام النوع، وتقوم فكرة المجتمع على الاستمرار والعلاقات الارتباطية المعقدة والتركيب الذي يتضمن ممثلين من الأنماط الإنسانية الأساسية،وعلى الأخص من الرجال والنساء والأطفال، ومن الطبيعي أن يكون هناك عنصر الإقامة في إقليم محدد،والمجتمع فوق هذا كله جماعة وظيفية حتى يمكن أن نحدده من حين لآخر في ضوء العلاقات المتبادلة " [1].

ويرى " **إليوت** "أن المجتمع هو أكبر جماعة إنسانية، ولهذا يجب أن نميز بين الجماعات غير الممثلة والتجمعات الأخرى " كالجمهور والمسافرين على

---

(1) Fairchild, H.(ed) : Dictionary of sociology , N.Y, 1944,p.300.

سفينة، والمشاهدين لمباراة كرة القدم، أو المقيمين في معسكر الجيش "، وهذا يعنى أن إليوت يصور المجتمع من الناحية البنائية الوظيفية على أنه مجموع متفاعل من الرجال والنساء والأطفال يقيمون في أرض محددة ويتعاونون وظيفيا على البقاء وحفظ النوع.

2- ويشير " بيسانز Biesanz " إلى ضرورة التفرقة بين استعمال كلمة " مجتمع " في اللغة العادية، وبين استعمالها في العلوم الاجتماعية،فيقول : " أن المجتمع هو تنظيم العلاقات الاجتماعية لجماعة من الناس يسهمون في ثقافة مشتركة ويتقاسمون الإحساس بالمشابهة " [1].

فالمجتمع كما يرى" بيسانز " يبدأ بوجود مجموع من الناس، ولكن وجود هؤلاء الناس على قرب مكاني أو فيزيائي لا يجعل منهم جماعة اجتماعية، لأن الجماعة تقوم حين يقوم اثنان أو أكثر من الناس على صلة واعية الواحد بالأخر، وهذا الاتصال قد يكون مباشرا أو غير مباشر، ولكنه يشتمل على أي حال على وسائل الاتصال في مستوى رمزي، إما عن طريق الإشارة أو اللغة، كما أن هذا الاتصال يعنى أن سلوك فرد يتعدل أو يعدل سلوك الآخرين، بمعنى أن أعضاء يؤثر أحدهم في الآخر،كما أنهم يستجيبون بعضهم لبعض،وهم جميعا يستجيبون لمؤثرات تأتيهم من خارج الجماعة، ومثل هذا التأثير المتبادل والاستجابة المتبادلة التي تتم بين الأفراد والجماعات يقال لهما " التفاعل المتبادل ".

(1) Biesanz, Biesanz : Modern society, N. Y, 1954, PP.85-88.

3- أما " **أرنولد جرين** Arnold Green " فيقول: " أن المجتمع هو أكبر جماعة ينتمي إليها الفرد، ويتكون المجتمع من السكان والتنظيم والزمن والمكان والمصالح" [1].

فكما يرى " **جرين** " أن الحياة الاجتماعية ما هي إلا تنظيم في المحل الأول كتقسيم عمل في إقليم مشترك وعلى مستوى أساسي دائم في الزمن، ويشترك جميع الأفراد في مصالح مشتركة، وتتحدد كل المصالح العامة الخاصة بطريقة تجعل الحياة الاجتماعية مكتفية بذاتها بين الأفراد.

4- ويعرف " **ماكيفروبيج** MacIver & Page " المجتمع على النحو الأتي " تعبر الكائنات الاجتماعية " الناس " عن طبيعتها بخلق ومعاودة خلق تنظيم يوجه ويهيمن على سلوكهم بطرق متعددة،ويحدد هذا التنظيم" المجتمع "ويضع الحدود لأوجه نشاط الناس،كما أنه يضع المقاييس التي يسيرون ويحافظون عليها، ومهما ظهر في المجتمع الإنساني من نقائص أو طغيان، فإنه شرط ضروري لتحقيق الحياة، والمجتمع إذن نسق من العادات والإجراءات والسلطة والمعونة المتبادلة، ويتكون من تجمعات وأقسام عديدة، ومن ضوابط السلوك الإنساني والحريات، ونحن نطلق على هذا النسق المعقد الدائم التغير اسم " **المجتمع**" وهو نسيج العلاقات الاجتماعية الذي يتغير باستمرار [2].

ولعل هذا التعريف يوضح أن **المجتمع** تنظيم أو نسق يتكون من العلاقات الاجتماعية المتغيرة، كما أوضح هذا التعريف القواعد التي تصب سلوك

---

(1) Green. A, ; Sociology, N. Y, 1960,PP.21-22.

(2) MacIver & Page : op.cit, p.5.

الناس في قوالب محددة وتخليهما عن فكرة ارتباط الثقافة بالمجتمع، لأنهما يعتقدان أن موضوع علم الاجتماع " دراسة المجتمع " وليس دراسة الثقافة،فإذا حدث كان لابد من التعرض للثقافة، فإن هذا التعرض يكون في الحد الأدنى اللازم لتوضيح الحقيقة الاجتماعية موضوع الدراسة، ومع هذا فقد أبرزا عددا من الشروط اللازمة لوجود المجتمع وهى الجماعات وضوابط السلوك، وأكدا فكرة التغير المستمر في العلاقات الاجتماعية،ونلاحظ أيضا أنهما لم يشيرا إلى المكان أو المصالح المشتركة بين الناس بصورة بارزة.

5- من أهم التعريفات ذلك الذي قدمه" **هارى جونسون Harry Johnson**" والذي أوضح فيه وحدد الخصائص التي تميز المجتمع عن غيره من لمصطلحات التي تستخدمها العلوم الأخرى " كالأمة، الشعب..."، فالمجتمع جماعة تتميز بالخصائص الآتية:

أ-الإقليم " الأرض " المحدد.

ب-التكاثرعن طريق الجنس.

ج-الثقافة الجامعة.

د-الاستقلال الاجتماعي.

نلحظ من خلال تعريف " **جونسون** " أن إدخال مقاييس أو خصائص أخرى في تعريف المجتمع سوف يؤدى إلى تعريف مثالي ليس مطابقا للواقع، ولذا يطالب بالابتعاد عن التعريفات المثالية، ورأى بضرورة أن نقتصر على الخصائص الأربع السابقة ذات الطابع العام بالنسبة لجميع المجتمعات، وإن كانت هناك إستثناءات.

نخلص مما سبق...أنه عندما ينشأ مجتمع ما تنشأ بين أفراده وجماعاته وهيئاته ومؤسساته علاقات اجتماعية متعددة الأشكال، متشابكة الأنواع، مركبة الأبعاد والألوان، وهي من أهم ضرورات الحياة في المجتمع، وهذه التفاعلات والعلاقات عبارة عن عمليات اجتماعية تقوم بين الأفراد في المجتمع.

***أنماط المجتمعات :** لا أحد يستطيع أن ينكر المحاولات العديدة التي قام بها الكثير من علماء الاجتماع بشأن تصنيف المجتمعات الإنسانية المختلفة، ونجد أن كثيرا من هؤلاء العلماء قد قاموا بتطوير ثنائيات نظرية، وخاصة عندما شغلت أذهانهم قضية " **الفروق الريفية الحضرية** "، فقدموا ثنائيات تقابل بين نوعين متباينين من المجتمعات يختلفان عادة اختلافا أساسيا في الخصائص والسمات المميزة لكل منهما، فنجد " **هنري مين** " H. Maine يميز بين مجتمع يرتكز على المكانة وآخر يستند على العقد، ويميز " **تونيز** " F.Tonnies بين المجتمع المحلى الذي تسود فيه روابط القرابة والعلاقات الأولية، وبين المجتمع الذي تسود فيه علاقات المصلحة والتعاقد، كما يعرض " **بيكر** " H.Becker ثنائية تقابل بين مجتمع علماني وآخر مقدس، بينما طور " **ردفيلد** " R.Redfield ثنائية تقابل بين مجتمع شعبي ومجتمع آخر حضري، كما نجد أن " **ماكيفر وبيج** " يمزجان بين اصطلاحات ثلاثة **هي " المجتمع، المجتمع المحلى، الهيئة أو الرابطة "** [1].

---

(1) السيد الحسيني، محمد على محمد : الفروق الريفية الحضرية في بعض الخصائص السكانية " المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، 1973، ص 247.

خـلال الفتـرة مـن عـام 1920 حتـى عـام 1930، نجـد أن جماعـة مـن علماء الاجتماع في جامعة شيكاغو قد بدأوا في دراسة عملية التحضر التي كانت تحدث في الولايات المتحدة الأمريكية في ذلك الوقت، من هؤلاء " **روبرت بارك " R.Park ،"أرنست بيرجس" E.Burgess ،" لويس ويرث "**، ومنذ ذلك الوقـت أدرك "**ويـرث**" L.Wirth أن هنـاك أنماطـا مـن المجتمعـات، مثـل المجتمعـات الريفيـة والمجتمعـات الحضـرية، ويـرى فـي مقالتـه بعنـوان " **الحضـرية كأسـلوب للحيـاة** " التـي نشـرها عـام 1938، أن هنـاك عدة محكـات أساسية يمكن عن طريقها التمييز بين المجتمعات الريفية والحضرية، إذ أن المجتمـع الحضـري يتميـز بعـدة خصـائص عـن المجتمـع الريفـي منهـا " **الحجـم الكبيـر، شـدة الكثافـة السـكانية، اللاتجـانس السكاني،سـيادة الضـوابط الرسـمية ، شـيوع العلاقـات الجماعيـة الثانويـة، النمـو المصحوب بانهيـار النسـيج المعياري والأخلاقي في المجتمع** " [1].

هذا بجانب من يصنفون هذه المجتمعات إلى" مجتمعات تقليدية، وأخرى حديثـة" ، وهنـاك " **المجتمعـات التي تمـر بمرحلـة مـا قبـل الصـناعة،المجتمعات الانتقالية أو النامية،المجتمعات الصناعية** "، وهناك " **مجتمعات الصيد والجمع، المجتمعـات الرعويـة، مجتمعـات الزراعـة المتنقلـة، المجتمعـات الزراعيـة، المجتمعـات الصـناعية** "، وهنـاك " **المجتمعـات التي تمـر بمرحلـة مـا قبـل الصـناعة، المجتمعـات الصناعية، المجتمعات الصناعية المتقدمة** " ([2]).

---

(1) ماكيفر وبيدج : المجتمع، ترجمة على أحمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1961، ص ص 28 – 30.

(2) نفس المرجع السابق : ص 31.

ثانيا: **العمليات الاجتماعية**:

ينظر بعض الباحثين إلى علم الاجتماع على أنه " **دراسة للعمليات الاجتماعية أي للتفاعل الاجتماعي**" ، وتنطوي كل عملية اجتماعية على تقرير طائفة من العلاقات والروابط التي يخضع لها الأفراد، فالعملية أوسع نطاقا من العلاقة الاجتماعية، بيد أن بعض المفكرين لا يفرقون بينهما من حيث أن العلاقات هي نتيجة مباشرة للتفاعلات أو العمليات الاجتماعية.

وتختلف **العمليات الاجتماعية** في **طبيعتها**، فمنها ما هو **مباشر** مثل " العمليات الاجتماعية التي تقوم بين الرجل والمرأة في محيط الأسرة، وبين العامل وصاحب العمل في محيط المصنع"، ومنها ما هو **غير مباشر** مثل " العلاقات التي تربط المنتج بالمستهلك ،والفرد بالدولة ،وصاحب المصنع بالسوق الدولية "، ومن العمليات ما يؤدى إلى **التجمع** ، وهى التي تسمى" **بالعمليات المجمعة** " مثل " **التعاون، الحب، الإخاء، الزواج** "، ومنها ما يؤدى إلى **التنافر والانحلال** ، وهى التي تسمى " **بالعمليات المفرقة أو المفككة** " مثل " **الصراع، الكراهية، الحرب، الطلاق** ".

ومن العمليات ما هو واضح **ومستقر**، ومنها ما هو **غامض وغير مستقر** وينمو في الخفاء نموا خطيرا، مثل العمليات التي تؤدى إلى **قيام المؤامرات والفتن والاغتيالات**، والتي تؤدى إلى انتشار التيارات غير المشروعة مثل "الاتجار في المخدرات، وارتكاب الجرائم والسرقات وهتك العرض، ومن هذا المنطلق سوف نسلط الضوء على أهم **العمليات الاجتماعية المجمعة** والمفرقة كما يلي:

العمليات المجمعة:

1- عملية التوافق: Adaptation، وهي عملية بفضلها تتم الموائمة بين النشاط الإنساني وبين ظروف البيئة، وخاصة فيما يتعلق بالوسائل التكنولوجية التي يسلكها الأفراد والجماعات لتحقيق إشباع الحاجات الضرورية.

وقد انقسمت الجماعات منذ القدم في موقفها من مؤثرات البيئة ومبلغ ما تفرضه من قيود فبعض المجتمعات استطاعت أن تفك أسر البيئة وانطلقت في مدارج الحضارة،واستطاعت أن تبتكر وتخترع وتضع أصول ومقومات حضارية،وجماعات أخرى استسلمت لما تفرضه عليها البيئة الطبيعية وقنعت بما تقدمه لها من الموارد التي تسد رمقها،ولم تحاول أن تجهد نفسها لاستغلال مواردها استغلالا إيجابيا،وتعرف هذه الجماعات باسم جماعات التجمع السلبي [1].

2- التأقلم: Acclimatization، وتتضح هذه العملية في الحالات التي تتطلب من الأفراد والجماعات التوافق مع وسط طبيعي جديد أو إقليم يختلف في ظروفه المناخية أو أحواله العامة عن البيئة الأصلية التي نشأوا فيها.

والواقع أن عملية **التأقلم** لا تعتبر عملية اجتماعية فحسب،بل هي أوسع من ذلك لأنها عملية طبيعية،تحدث في كل الممالك الحية " نباتية، حيوانية،بشرية"،فنجد أنواعا كثيرة من النباتات تنمو وتتكاثر في غير بيئاتها الأصلية، وبعض الحيوانات استؤنست في غير مواطنها، وكذلك الحال لبعض الجماعات البشرية في هجراتها المستمرة من وطن لآخر [2].

---

(1) مصطفى الخشاب : مرجع سابق، ص 201 .

(2) نفس المرجع السابق : ص 202.

وهناك طاقة أو حد أقصى لتأقلم الكائن الحي بالظروف البيئية، وتختلف هذه الطاقة باختلاف الأجناس والجماعات والأفراد في نطاق الجماعة الواحدة، وفى ضوء هذه الظاهرة نستطيع أن نفسر الصعوبات التي تلاقيها السلالات الأوربية في مبلغ تأقلمها بالبيئات الحارة، لأن التأقلم يقترن ضروري بتغيرات وظيفية وسلوكية تبعا لما تفرضه البيئة الجديدة.

3- **التعاون:** Co–operation، هو محاولة منظمة من جانب بعض الأفراد للوصول إلى هدف مشترك، وهو عملية **تجميع واتحاد وبناء وتدعيم**، نجده بيولوجيا في الصراع من أجل البقاء كسبب لبقاء الكائنات العضوية، فلو كانت حياتها صراعا دائما لفنيت وقضت على بعضها البعض، ولكن من وسط الصراع ينبت التعاون، وقديما تعاون الناس لحماية أنفسهم من جو الطبيعة في فيضان أو حريق أو حيوان مفترس.

هذا وقد تطور التعاون من هذا الشكل الغريزي التلقائي الدفاعي، إلى نوع أكثر تنظيما ورقيا هو التعاون الديموقراطي كما حدث بعد الحروب العالمية ظهرت رغبة الدول في تعاونها ومناهضة الصراعات والحروب، فأنشأت عصبة الأمم أولا، ثم هيئة الأمم المتحدة التي تقدم العون المادي والفنى وتعمل من أجل تحقيق السلام في العالم كله.

والتعاون عملية اجتماعية، يرجع الفضل إلى الأسرة أولا ثم إلى البيئة الخارجية ثانيا في ترويض الأفراد عليها، والتعاون ولو أنه عملية اجتماعية، إلا أنه يستجيب مع بعض الدوافع الفطرية الكامنة في الطبيعة الإنسانية، فالنفس الإنسانية تنطوي على طائفة من الغرائز الغيرية، بجانب انطوائها على الغرائز الذاتية، وهذا قد يدلنا على أن حرص الإنسان على تحقيق

مصالح الغير لا يقل كثيرا عن حرصه على مصالحه الشخصية، هذا وقد **تعددت أشكال وأنواع التعاون** كالتالي [1]:

أ- التعاون الدفاعي التلقائي: كتعاون أفراد المجتمع الذي حاقت به كارثة، حيث يهب الناس متعاونين لدرأ هذه الكارثة والتخفيف منها دفاعا عن حياتهم وممتلكاتهم، والغرض من هذا التعاون هو المحافظة على بقاء الجماعة.

ب- التعاون المتبادل: وهو الذي يمكن من التطور والارتقاء الإنساني.

ج- التعاون الاختياري: كإقدام البعض على إنقاذ غريق أو إطفاء حريق أو التبرع لمساعدة الفقراء والمحتاجين، أو ضحايا الحروب والمجاهدين.

د- التعاون القهري الجبري: وهو التعاون المفروض بحكم التنظيم، كما هو الحال بين الموظفين في نطاق عمل المصنع أو المؤسسة.

هـ- التعاون التعاقدي: وهو أرقى أشكال التعاون وأكثرها تنسيقا وتنظيما نحو بلوغ الأهداف الاجتماعية المشتركة، ومن أمثلته التنظيمات التعاونية كالجمعيات الاستهلاكية والجمعيات الإنتاجية والجمعيات الائتمانية.

و- تعاون محدود النطاق في مقابل تعاون واسع النطاق: فالأول يقتصر على جماعة بعينها كمجتمع المصنع أو مجتمع محلى، والثاني هو ما اتسع نطاقه ليشمل مجتمعا كبيرا أو عدة دول وأقاليم أو حتى على مستوى العالم.

ز- التعاون المباشر والغير المباشر: ومن أمثلة التعاون المباشر، تعاون جمع من العمال على حفر ترعة مثلا،أو رفع حمل ثقيل على شاحنة، بمعنى أن المتعاونين يؤدون عملا واحدا ويحققون غرضا مشتركا، أما الغير مباشر، مثلما يؤدى كل فرد من المتعاونين عملا خاصا يختلف عن عمل زميله،

---

(1) أحمد رأفت عبد الجواد : مرجع سابق، ص ص 92 – 93.

ولكن هذه الأعمال الجزئية الخاصة تتجه في النهاية إلى تحقيق غرض مشترك،كتعاون مجموعة من المدرسين مختلفي التخصصات داخل مدرسة ما في تعليم التلاميذ، فبالرغم من أن كل مدرس له تخصص يختلف عن الآخر، إلا أن هذه الأعمال في مجموعها تتجه نحو قصد واحد.

وللتعاون **دوافع وأسباب** نذكر منها [1] :

أ- ترابط الجماعة وتماسكها إذ كلما قويت أواصر العلاقات بين الأفراد، كلما أدى ذلك إلى زيادة روح التعاون بينهم.

ب- سيادة مبدأ تكافؤ الفرص والعدالة والمساواة بين الأفراد والجماعات ما أمكن، وتذويب الفوارق بين الفئات والطبقات الاجتماعية، كل ذلك يخفف من غلواء التنافر والحسد والبغضاء ويشق الطريق أمام التعاون، ويعمل على زيادته وسيادته.

ج- محاولة توحيد الأهداف المشتركة، وجعلها معبرة عن آمال الناس ومعالجة آلامهم حتى تلتقي ميولهم المشتركة إزاءها، فيسود التعاون ويسعون إليه لأنه سيصادق رغبة لدى كل منهم.

د- سيادة علاقات القربى والصداقة والمشاركات الوجدانية، وكلها علاقات تدفع إلى التعاون بدافع المحبة والقبول والرضا.

هـ- قد تتحقق المصالح الشخصية من خلال المصالح العمة المتماثلة التي لا تتم في إطار تعاوني يوفق بين مختلف المصالح ويوحد وجهات النظر لمنفعة متبادلة.

---

(1) نفس المرجع السابق : ص 94.

4- التنشئة الاجتماعية: Socialization، تعتبر عملية التنشئة من أولى العمليات الاجتماعية وأخطرها شأنا في حياة الفرد، لأنها الدعامة الأولى التي ترتكز عليها مقومات شخصيته، وتبدأ العملية منذ ولادة الطفل، لأنه في مراحل حياته الأولى لا يعدو أن يكون كتلة من الغرائز والاستعدادات، ثم تتولاه الأسرة بالترويض على أن يكون كائنا اجتماعيا ومواطنا فاضلا، فتعلمه لغة الجماعة وعاداتها وعرفها وتقاليدها، وتكمل الجماعات الأخرى "حلقات اللعب والزمالة، المدرسة، الجمعيات والهيئات " وظيفة الأسرة في التنشئة.

قد يظن البعض أن عملية التنشئة تقتصر على عملية نقل التراث إلى مواليد المجتمع وحسب، وإنما هي بالإضافة إلى ذلك مسئولة عن تلقين الأفراد مبادئ العمل السوي كالإيثار والتعاون وحب الآخرين والمجتمع، كما أن التنشئة الاجتماعية وسيلة لزيادة تماسك الجماعة وطريقا إلى اندماج الفرد في حياة الجماعة وتسهيل تكيفه الاجتماعي.

ويختلف الأفراد في مبلغ قابليتهم للاندماج في حياة الجماعة باختلاف التربية التي يتلقونها عن الأسرة وعن الجماعات التي تحيط بهم في نشأتهم الأولى، وهذا يفسر لنا أن بعض الأطفال ينشئون اجتماعيا، وبعضهم غير اجتماعيين، وهذه الظاهرة الأخيرة يجب أن يفطن إليها الآباء والمربون خشية أن يتزايد خطرها، فينشأ الكثيرون مزودين بميل إلى العزلة وعدم الاندماج الاجتماعي، وغنى عن البيان أن هذا الوضع قد يؤثر في نشاط المجتمع ويعوق تماثل وحدته وسيره نحو التكامل [1].

---

(1) مصطفى الخشاب : مرجع سابق، ص ص 202 – 203.

نلاحظ كذلك أن الأفراد يختلفون في منازعهم نحو الاجتماع، فقد نجد طفلا اجتماعيا في بيئته الأسرية ولكنه ليس كذلك في المدرسة، فقد نجده مندمجا في المدرسة اندماجا كليا، ولكنه ليس كذلك في الرحلات والزيارات، وليست هذه الظاهرة مقصورة على الأطفال، بل نجدها عند الشبان والرجال، فنلاحظ بعض الشبان يمتازون بالانطواء الذاتي، وبعضهم يميل إلى الاستقلال في الاستذكار والعمل.. وهكذا.

5- **التكيف** : Accommodation، وله مظهران أساسيان [1]:

الأول: التكيف البيولوجي: وهو الذي يتم بين الكائن الحي وظروف بيئته، وهذا يعنى أن الظروف البيئة في حالة التكيف تسمح للكائن الحي بأن يؤدى وظائفه كاملة ويؤمن على بقائه ودوام تكاثره، وفى حالة عدم التكيف لا يستطيع الكائن الحي تحقيق ذلك.

الثاني: التكيف الاجتماعي: ويقصد به تكيف الإنسان مع ظروف بيئته الاجتماعية، وهذا التكيف يتطلب من الإنسان إذا أراد أن يحيا كما يريد أن يختار بين أمرين "إما البحث عن البيئة التي تلائمه، أو خلق مثل هذه البيئة "، وذلك نرى الإنسان يعدل باستمرار في بيئته، ويتم هذا التعديل على نطاق واسع في البلاد المتحضرة.

ومن ثم يعتبر التكيف عملية اجتماعية على جانب كبير من الأهمية، إذ بفضله يتطبع الإنسان بالبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها ويصبح قطعة منها وعنصرا منسجما مع عناصرها، فلا يشعر بوطأة نظمها ولا يضيق ذرعا بأوضاعها.

---

(1) نفس المرجع السابق : ص ص 206 – 207.

ويجب أن نفرق في حياة الطفل بين التكيف الفيزيقي والتكيف الثقافي، فالأول وظيفته ترويض أعضاء الطفل وتكوينه الجسماني على التكيف بظروف البيئة الجغرافية والمناخية، أما الثاني فوظيفته تدريب الطفل على إيلاف البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها.

وتبدو وظيفة التكيف بوضوح عندما ينتقل الإنسان من بيئة اجتماعية إلى أخرى تختلف عنها في أنماطها الثقافية أو تراثها الثقافي،ففي هذه الحالة يشعر الفرد بوطأة النظم الجديدة،ولابد له من الترويض والمران على الحياة الجديدة، لأنه يشعر في بادئ الأمر بمقاومة داخلية وصراع عنيف بين تراثه الراسب في تكوينه وفى شعوره، وبين أوضاع البيئة الجديدة ونظمها، فيأخذ الفرد نفسه بالصبر والجلد والاندماج في هذه البيئة حتى تخفف حدة الصراع ويتم التكيف الذي يحتاج إلى وقت طويل ومران غير يسير، ومغالبة النفس فيما تعودت عليه من نظم سابقة.

نخلص مما سبق: إلى أن التكيف عملية مستمرة إطرادية، وتتطلب نشاطا ديناميا، وبفضل هذا التكيف الدينامى يحقق المجتمع تقدمه ويتلافى المنازعات والهزات العنيفة.

6- التمثيل : Assimilation وهو النتيجة التي تنتهي إليها عمليتا " **الصراع والتكيف** " ، وبمقتضى هذه العملية تتلاشى الاختلافات، وتتوحد مواقف الأفراد، وتتحقق وحدتهم، أي أنه بمقتضاها تصبح الجماعات غير المتماثلة متماثلة، وتصبح الأغراض والأهداف والمصالح ذاتية بالنسبة

للجميع، فيشتركون جميعا في مشاعر واحدة وتجارب واحدة وتاريخ واحد، أي أنهم يتجسد ون حياة ثقافية واحدة [1].

ويبدو **التمثيل** واضحا في المظاهر الثقافية، فقد كان المهاجرون إلى أمريكا مثلا يصادفون مشقة بالغة في تكيفهم بالبيئة الثقافية، وكانوا يشعرون بشيء من الصراع بين تراثهم الثقافي، وبين العادات الشعبية الأمريكية والأساليب العامة،ولكن تحت تأثير ظروف البيئة، والظروف الاجتماعية التي تدفع بهم إلى الاختلاط والامتزاج أمكن لهؤلاء المهاجرين بالتدريج أن يتأمركوا، أي يتمثلوا الثقافة الأمريكية ومظاهرها الحضارية،وتنتهي عملية التمثيل على أحس صورة وبغير عناء ومشقة، إذا لم يكن هناك عداء أو خصومة بين المقومات الثقافية في كلتا البيئتين " بيئة الشخص الأصلية، والبيئة الجديدة التي ينتقل إليها، ويريد أن يتمثل تراثها الثقافي والحضاري [2].

العمليات المفرقة:

1- التنافس: Competition، هو عملية اجتماعية منشطة للقوى لإمكانيات الإنسانية، ما دام في الحدود المعقولة وفى صورته الإنشائية والإيجابية، أما إذا خرج عن حدوده انقلب إلى صراع وأصبح تنافسا هداما، وهو يتولد عادة من التعاون، لأن هذه العملية هي محك التنافس ومبعثه.

والتنافس عملية محببة إلى النفوس، لأنها تؤدى إلى إطلاق القوى الكامنة في الأفراد، وإعمالا لقدراتهم المبتكرة والخلاقة، واستغلالها في أكمل صورة،

---

(1) محمد عاطف غيث،غريب محمد سيد أحمد : محاضرات في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988، ص 100.

(2) نفس المرجع السابق : ص 101.

ويعتبر التنافس منشطا للقوى والإمكانيات،دافعا إلى الرقى والازدهار ما دام في حدود المعقول، أما إذا خرج عن حدوده انقلب إلى صراع مخيف،ويظل التنافس عملية إيجابية سليمة العواقب ما دامت ذات هدف واحد يخدم الجماعة، وينبع من تطلع الأفراد نحو الأفضل، أما إذا انقلب التنافس ليحقق أهدافا فردية دون التزام بقيم الجماعة وأخلاقها ومصلحتها، أصبح منبعا للشقاق والتفرقة، حينئذ يصبح عملية سلبية مفرقة [1].

ولكي يؤدى **التنافس وظيفته الاجتماعية** يجب أن يكون بين قوتين متعادلتين، لأن عدم التعادل والتكافؤ بين المتنافسين يؤدى إلى انتصار الأقوى واخراج الضيف من الميدان دون مقاومة تذكر، فالتنشئة الاجتماعية مسئولة عن دفع الأفراد إلى التنافس، وذلك وفقا للعادات والاتجاهات والقيم التي تكسبها للأفراد، ففي مجتمع كأمريكا مثلا وغيره نجد التنافس على أشده لجمع الثروات، بينما نجد أن أفراد قبائل داكوتا من الهنود الحمر كانوا يتنافسون في إنفاق ثرواتهم، ومن العار عندهم أن يموت أحدهم وهو غنى.

2- الصراع :Conflict هو من أخطر العمليات الاجتماعية، لأنه تصادم بين القوى الاجتماعية، وهو تعبير عن نضالها، ويحدث في المجتمع نتيجة تحول المنافسة من سوية إنشائية إلى مظهر متطرف هدام، وعندئذ يقذف المتنافسون بكل ما في حوزتهم من قوى وإمكانيات للقضاء على غريمهم ويتبعون في ذلك أهوائهم الجامحة، ويحكمهم مبدأ " تنازع البقاء، والبقاء للأقوى "، وغنى عن البيان أن المجتمعات في هذا المحال تخسر قسطا كبيرا من الطاقة الإنسانية والمادية نتيجة لهذا الصراع [2].

---

(1) أحمد رأفت عبد الجواد : مرجع سابق، ص 99.

(2) مصطفى الخشاب : مرجع سابق، ص 211.

ومظاهر الصراع كثيرة فقد يحدث بين شخصين أو بين جماعتين أو بين طبقتين وقد يتسع نطاقه فيقوم بين الدول والشعوب، وقد يكون الصراع مباشرا ووجها لوجه، وقد ينمو في الخفاء ويتخذ مظاهر غير مشروعة " كالقتل، الاغتيال، تدبير الدسائس والمؤامرات، ويوجد الصراع كذلك في مختلف شئون الحياة الاجتماعية.

يرى " **ماكيفروبيج** " أن جوهر الصراع نشاط الشخص نحو الآخر أكثر منه نحو الهدف، فالصراع ينشأ عادة نتيجة لتعارض المصالح، ولتأصيل الأنانية والذاتية وتغليبها على الغيرية، ورغم أن المجتمعات الحديثة تخلصت من صور الصراع الهمجية والبربرية التي تعوق حركة نموها وتقدمها، غير أن كثيرا من صور هذا الصراع لا تزال توجد في الثقافات " كالتقاضي أمام المحاكم، الحروب، المنافسة الاقتصادية الغير عادلة...وغيرها " [1]، وينقسم الصراع إلى [2]:

أ-صراع مباشر: كاعتداء الأفراد بعضهم على بعض، إلى حد استخدام العنف والقوة، ومنع الخصم من الوصول إلى تحقيق غايته أو هدفه.

ب-صراع غير مباشر: يتمثل في سعى كل فرد أو فريق إلى تحقيق مصلحته، وإعاقة تحقيق مصلحة الآخرين، خصوصا إذا كان الهدف واحد لكلا الطرفين " كالحصول على جائزة مالية أو وظيفة.....وغيرها"، وينتهي الصراع عادة بالتعاون، إذا كان بين قوتين متعادلتين، لأن كل منهما يسأم من استمرار الصراع، ولا يستسيغ الخسائر التي يتكبدها من صراعه فترة

---

(1) MacIver & Page : op.cit,pp.62- 65.

(2) محمد عاطف غيث، غريب سيد أحمد : مرجع سابق، ص ص 97 – 98.

طويلة، فتكون النتيجة إمكان الوصول إلى حلول وسطى، وتقريب وجهات النظر بين المتصارعين، أما إذا كان الصراع بين طرفين غير متكافئين، فإن النصر سيكون حليف الأقوى.

وكثيرا ما يحدث الصراع بين الدول، ويؤدى مثل هذا الصراع عادة إلى تقوية النظم الداخلية لكل منهما، وتماسك الأفراد والجماعات وتضامنهم بصورة أقوى مما كان عليه الحال قبل الحرب، وذلك أن نصرة دولتهم ستكون هدفا مشتركا تلتقي عندها اتجاهات الناس وآرائهم، وضرورة تعاونهم وتكتلهم لدرأ أخطار الحرب والتصدى لما تحدثه من آثار تدميرية.

مما سبق... ومن خلال عرضنا لأهم **العمليات الاجتماعية** يمكن القول، بأن هذه العمليات أصبحت الآن موضع اهتمام علماء الاجتماع، وعلى الرغم من اختلاف الباحثين في بعض المسائل المتصلة بفهم العمليات الاجتماعية، إلا أن هناك **شبه اتفاق حول عدد من المبادئ أو القضايا العامة التي يمكن استخلاصها من دراسة هذه العمليات هي:**

1- أن الناس في كل مكان يناضلون من أجل تحقيق أهدافهم، إما بالاشتراك مع الآخرين عن طريق التعاون والنضال ضدهم، ولا توجد جماعة أو مجتمع فيهما تعاون أو تصارع كاملين، والأهداف إذا كانت نادرة يصبح طابع السلوك تعاونيا، وتساعد عملية التنشئة الاجتماعية في إيمان الأفراد بالتعاون أو التنافس.2- العمليات المجمعة، هي أساس التكامل والاستقرار والرقى والتنافس يشحذ همم الأفراد الخلاقة بينما الصراع يعتبر من دعائم الحركة الاجتماعية والتطور

3- هناك توازنا بين فاعلية كل من العمليات الاجتماعية المجمعة والمفرقة على حد سواء، وبينهما تأثير متبادل وكلها تفاعلات ونماذج للتفاعلات الاجتماعية الضرورية للمجتمع.

4- الصراع ليس له صفة الاستمرار فهو متقطع، بينما التنافس مستمر، وهاتان العمليتان تشجعان تقسيم العمل والتخصص والتمايز الطبقي والمهني والاقتصادي

5- سيادة علاقات القربى والصداقة والعاطفة في المجتمع تؤدى إلى التعاون ويتسع نطاقه، بالعكس فإن الأفراد والجماعات تتنافس وتتصارع إذا كانت علاقاتهم تقوم على الحقد والحسد والغيرة.

6- لا نستطيع أن نجد مجتمعا يكشف في ثقافته عن تنافس كامل أو تعاون كامل، ذلك أن كل مجتمع يشتمل على درجات متغيرة، وهذا هو الشأن بالنسبة للصراع والتوافق والتمثيل.

7- عندما يحدث صراع داخل الجماعة الواحدة ويحدث في نفس الوقت بين الجماعات، يقع الأفراد الذين لهم ولاء للأطراف المتنازعة بصورة أو بأخرى فريسة للصراع الشخصي واضطراب الشخصية.

8- التوافق يمهد الطريق للتمثيل والمتشابهات في الثقافة توصل إلى التمثيل.

9- يتوقف التغير من الصراع إلى التعاون على التغلب على الأنماط المتحجرة والصور الخاطئة التي يحملها البعض للآخرين.

الفصل الرابع

رواد علم الاجتماع

تمهيد:

من المعروف أن علم الاجتماع كغيره من فروع المعرفة الإنسانية نشأ بين أحضان الفلسفة، وظل الفلاسفة يشيرون إلى ظواهره وموضوعاته من خلال تناولهم لقضاياهم الفلسفية وبقي هذا شأنه حتى اكتمل عوده ووصل إلى مرتبة العلم المستقل " له مجالاته الخاصة، وقوانينه الدقيقة، ومناهجه العلمية القائمة على الملاحظة والتجربة ووضع الفروض ومحاولة اختبارها وصولا إلى القوانين والنظريات " كغيره من العلوم.

ولذلك فإن أي باحث يود الوقوف على تطور التفكير الاجتماعي ويتعرف على بوادره عليه أن يعود إلى الفلسفة ويستعرض تاريخها ويحاول تتبع حقائق الحياة الاجتماعية لدى طائفة من المفكرين والفلاسفة الذين أسهموا بنصيب لا بأس به في هذا الصدد، ولهذا فإن كثيرا من المفكرين يرون أن بدء التأريخ للدراسات الاجتماعية يقترن بدراسة الفلسفة اليونانية باعتبارها أول صورة للتفكير الإنساني المنظم.

وبالنظر إلى ما صدر من مؤلفات تعالج نشأة علم الاجتماع، يلاحظ **أن بعضها** يرجع الفضل في نشأة هذا العلم إلى العلامة الإيطالي "**جيوفانى فيكو** " الذي أراد بكتابه " العلم الجديد " أن يبين علما جديدا للإنسان على نحو لم يحاول غيره من قبل.

وأراد **البعض الآخر** أن يجعل من العلامة البلجيكي " **أودلف كيتيليه** " أول منشئ لعلم الاجتماع، ذلك لأنه أشار عام 1838 إلى ضرورة دراسة ظواهر الاجتماع دراسة علمية بالدقة نفسها التي تدرس بها العلوم الطبيعية، حتى

نستطيع أن نكشف عن القوانين الاجتماعية التي بفضلها نتنبأ بما يحتمل وقوعه في الميدان الاجتماعي.

ويصر **فريق ثالث** على القول بأن العلامة الفرنسي " **أوجست كونت** " ينسب إليه الفضل في إنشاء علم الاجتماع الحديث، بينما يزعم **فريق رابع** إلى أن الإنجليزي " **هربرت سبنسر** " هو الذي يرجع إليه الفضل في إنشاء هذا العلم، ويؤكد **فريق خامس** أن العلامة العربي" **عبد الرحمن ابن خلدون** " الذي ظهر قبل هؤلاء جميعا بنحو خمسة قرون يرجع إليه الفضل في إنشاء هذا العلم وإقامته على دعائم سليمة، **وهناك من يرى** أن إسهامات " **كارل ماركس** " هي السبب الحقيقي وراء قيام هذا العلم الجديد.

من الواضح أن **موضوع نشأة علم الاجتماع يمثل مسرحا للصراع والنزاع بين الكتاب والمفكرين**، كل منهم يحاول إرجاع الفضل في نشأة هذا العلم إلى عالم معين، أو مفكر بعينه دون إدراك للكيفية التي توصل بها المفكر إلى العلم الجديد، من هذا المنطلق نكتفي في هذا الفصل بعرض **لإسهامات اثنين من هؤلاء المفكرين هم:**

أولا: ابن خلدون.

ثانيا: أوجست كونت.

عبد الرحمن ابن خلدون

" 1332 **م** – 1406 **م** "

أولا: **لقبه وكنيته**:

هو أبو زيد ولى الدين عبد الرحمن محمد ابن خلدون،ولد في مدينة تونس،وتوفى بمصر، وينتسب إلى أسرة عربية يمنية بحضرموت،وقد تولى كثيرا من الأعمال السياسية،واتصل بسلاطين المغرب وأسبانيا،رفعته السياسة حتى وصل وزيرا وخفضته حينا حتى سجن،فسئم العمل السياسي،واعتزله سبع سنوات،قضى أربع سنوات منها في قلعة ابن سلامه، وفيها كتب مقدمته المشهورة في خمسة أشهر، ثم نقحها وبدأ بكتابة تاريخه،ثم رحل إلى القاهرة وتولى القضاء فيها وظل بها إلى أن مات [1].

اشتهر " **ابن خلدون** " بمقدمته التي هي جزء من كتابه الذي ألفه في التاريخ وأسماه كتاب " **العبرودیوان المبتدأ والخبرفي أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر** "، وينقسم هذا المؤلف من مقدمة وثلاث كتب هي [2]:

1- المقدمة : في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه،وأسباب أخطاء المؤرخين، مرجعا أسباب هذه الأخطاء إلى أنهم لم يحاولوا دراسة المجتمعات وما يسودها من قوانين، ولذلك وضع لهم أسس دراسة المجتمعات، أو كما سماها " علم العمران " موجها النظر إلى ضرورة دراسة المجتمع وما به من وقائع " ظواهر اجتماعية " دراسة علمية تحليلية مع استخلاص ما تخضع له هذه الوقائع من قواعد وقوانين،ومشيرا إلى أن طبيعة "علم العمران "ليست إلا جزء من الطبيعة العامة، ثم انتقل بعد ذلك إلى دراسة اجتماعية للمجتمعات التي زارها أو قرأ

---

(1) على عبد الواحد وافى : ابن خلدون، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1955، ص 20.

(2) أحمد رأفت عبد الجواد : مرجع سابق، ص ص 9 – 10.

عنها مستنبطا بعض القواعد والقوانين التي سجل بها سبقه على مفكرى الغرب بعدة قرون.

2- الكتاب الأول: في العمران وما يعرض له من العوارض الذاتية وما لذلك من العلل والأسباب.

3- الكتاب الثاني: أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ بدء الخليقة حتى القرن الثامن الهجري " الرابع عشر الميلادي ".

4- الكتاب الثالث: في أخبار البربر ومن إليهم وأجيالهم ودولهم " ويطلق على المقدمة والكتاب الأول ما نسميه اليوم باسم " مقدمة ابن خلدون ".

ثانيا: أسباب نشأة علم العمران عند " ابن خلدون ":

لاحظ " **ابن خلدون** " أن المؤرخين يقعون في أخطاء كثيرة عند تسجيلهم للتاريخ نتيجة لأسباب متعددة لعل أهمها [1] :

1- تعصب المؤرخ لمذهب معين أو لطائفة معينة من الحكام أو لدولة ما، وهذا التعصب يقوده إلى تسجيل الوقائع التاريخية وفقا لهواه ونزعة ميوله الشخصية، وهذا يتنافى مع الحق والعدل.

2- أن كثيرا من المؤرخين لا يحكمون العقل والمنطق فيما يصل إليهم أو فيما يسجلونه من أخبار.

3- عدم قياس الغائب على الشاهد، بمعنى أن الحوادث الإنسانية تتشابه، فما يكون منها قد حدث في الماضي أو في مجتمع آخر، قد يحدث في الحاضر أو يتكرر في مجتمع ثان، لهذا فإن من واجب المؤرخين أن يقيسوا

---

(1) مصطفى الخشاب : مرجع سابق، ص ص 13 – 14.

الأخبار التي يسمعونها على الأحداث التي يشاهدونها، فيتجنبون الوقوع في الخطأ.

4- الجهل بالقوانين والنواميس الطبيعية التي يسير عليها الكون، لأن علمهم بها يعصمهم من الوقوع في كثير من الأخطاء.

5- الجهل بالقوانين الاجتماعية أو المبادئ التي يسير عليها العمران البشرى، فالعلاقات الإنسانية تسير وفق قواعد محددة وواضحة وليست بطريقة عشوائية.

وابن خلدون لا يلتمس عذرا للمؤرخين الذين يقعون في الأخطاء الأربعة الأولى، لأن من واجبهم أن يكونوا على علم بها، ولكنه يلتمس لهم العذر إذا وقعوا في الخطأ الخامس، لأنه ميدان علم جديد عليهم، ولم يكتشفه عالم من قبل.

بعد أن انتهى " **ابن خلدون** " من الكشف عن أسباب الخطأ في تسجيل التاريخ،حرص على أن يرسم الطريق أمام الباحثين والمؤرخين لتجنب هذه الأسباب، وذلك على النحو التالي [1]:

1- أن يجرد المؤرخ نفسه من الهوى والتشيع أو التقرب وعوامل الانحراف عن الحق، وأن يقدم على بحوث التاريخ بدون رأى مسبق.

2- الإلمام بالعلوم الطبيعية وقوانينها، واستبعاد كل ما يتنافى معها، وأنه لا عذر للمؤرخين في ذلك، لأن هذه العلوم قد وصلت في عهد ابن خلدون إلى درجة من النضج وكشف علماؤها طائفة كبيرة من القوانين التي تخضع لها ظواهر الطبيعة.

---

(1) على عبد الواحد وافى : مرجع سابق، ص 111.

3- الإلمام القوانين التي تخضع لها ظواهر الاجتماع الإنساني، طالما أنها لا تسير حسب الأهواء والمصادفات، وإنما تحكمها قوانين ثابتة مطردة شأنها شأن الظواهر الطبيعية.

ولذلك يرى " **ابن خلدون** " أن ظاهرات الاجتماع لم تدرس من قبله دراسة وضعية، ترمى إلى بيان طبيعتها والكشف عما تخضع له من قوانين، وإنما درست لأغراض أخرى كمجرد وصفها أو بيان ما ينبغي أن تكون عليه أو بيان الوسائل المؤدية إلى إصلاحها، ولا يمكن الكشف عن هذه القوانين إلا بدراسة الظواهر الاجتماعية دراسة وصفية ترمى إلى توضيح طبيعتها، وبيان العلاقات التي تربطها بعضها ببعض وتربطها بغيرها وما ينجم عن هذه العلاقات من نتائج في نشأتها وتطورها واختلافها باختلاف المجتمعات والعصور.

ومن هنا اضطلع " **ابن خلدون** " بمهمة إنشاء هذا العلم الجديد، وقام بالكشف عن القوانين التي تخضع لها ظواهر الاجتماع الإنساني، وتألف عن ذلك علم جديد هو " علم العمران أو الاجتماع الإنساني ".

ثالثا: **موضوع علم العمران**:

حدد " **ابن خلدون** " موضوع علم العمران في دراسة الاجتماع الإنساني وظواهره " واقعات العمران البشرى "، وإن لم يهتم بتعريف الظاهرة الاجتماعية،وإنما اكتفى بأن ضرب أمثلة لها تدل على أنه كان يعرف طبيعتها وخصائصها،وقد قسم "ابن خلدون " موضوع علم العمران إلى قسمين [1]:

الأول: يتعلق ببنية المجتمع أو المورفولوجيا وما يتصل بالبدو والحضر وأصول المدنيات القديمة، وتوزيع أفراد الإنسانية على المساحة التي نشغلها،

(1) مصطفى الخشاب : مرجع سابق، ص ص 134 – 135.

والـنظم التــي تسـير عليهـا المجتمعـات فــي هجـرة أفرادهـا وفــى كثـافتهم وتخلخلهم.

الثاني: وهو دراسة النظم العمرانية التي تختلف باختلاف النشاط العمراني إلى ظواهر سياسية واقتصادية وتربوية وعائلية وأخلاقية وجمالية ودينية ولغوية.

وهذا يدل على أن " **ابن خلدون** " استوعب معظم فروع علم الاجتماع وعالج أهم مجالاته.

رابعا: **أغراض علم العمران**:

حصر " **ابن خلدون** " أغراض وأهداف علم العمران في اثنين هما [1]:

الأول: الأغراض المباشرة: وتتمثل في الوقوف على طبيعة الظواهر الاجتماعية وما يحكمها من قوانين، وذلك شأن جميع العلوم، حيث ينصرف علم العمران إلى الكشف عن طبيعة الظواهر الاجتماعية ووظائفها والقوانين التي تخضع لها.

الثاني: الأغراض غير المباشرة: تتعلق بعصمة المؤرخين من الوقوع في الأخطاء، ومن قبول الأخبار التي تتعارض مع ما يحكم طبيعة العمران من قوانين، حيث يكون بإمكان المؤرخين الانتفاع بحقائق الاجتماع وقوانينه في تصحيح حقائق التاريخ وتعليل حوادثه.

خامسا: **منهج البحث في علم العمران**:

اعتمد " **ابن خلدون**" في بحوثه على ملاحظة ظواهر الاجتماع في الشعوب التي أتيح له الاحتكاك بها والحياة بين أهلها،وعلى تعقب هذه الظواهر في تاريخ هذه الشعوب نفسها في العصور السابقة لعصره،وتعقب أشباهها ونظائرها في تاريخ شعوب أخرى لم يتح له الاحتكاك بها ولا الحياة بين أهلها والموازنة بين هذه الظواهر جميعا،والتأمل في مختلف شئونها للوقوف

---

(1) على عبد الواحد وافى : مرجع سابق، ص 113.

على طبائعها وعناصرها الذاتية وصفاتها العرضية،وما تؤديه من وظائف في حياة الأفراد والجماعات، والعلاقات التي تربطها بعضها ببعض،والعلاقات التي تربطها بما عداها من الظواهر الكونية،وعوامل تطورها واختلافها باختلاف الأمم والعصور،ثم الانتهاء من هذه الأمور جميعا إلى استخلاص ما تخضع له هذه الظواهر في مختلف شئونها من قوانين.

ومن هنا يمكن القول بأن منهج البحث عند عبد الرحمن ابن خلدون قائم على [1] " **الملاحظة والتجربة الشخصية، المنطق العلمي، استقراء الحوادث،الاعتماد على منطق التحليل التاريخي،المقارنة والتعليل** ".

سادسا: **نتائج دراسته في علم العمران**: وتتمثل فيما يلي:

1- تمثل الحياة الاجتماعية وكل ما يعرض فيها من حضارة مادية وعقلية في نظر " ابن خلدون " موضوع علم العمران، ولقد أدى به إلى بيان أعمال الناس وكيفية تحصيلهم لأقواتهم وسبب تنازعهم وإنشائهم لجماعات تخضع لأحكام وعادات وقوانين متباينة، كما أنه حاول أن يحلل الضرورة الاجتماعية ومظاهر تطورها من حياة البدو إلى حياة التحضر [2].

2- أن المجتمع الإنساني أمر طبيعي وضروري، فالإنسان مدني بطبعه، بمعنى أنه لا يستطيع أن يعيش إلا في مجتمع، وتنعكس الضرورة الاجتماعية في هذا من خلال حاجة الأفراد إلى التعاون لسد الاحتياجات الاقتصادية والدفاعية [3].

---

(1) نفس المرجع السابق : ص 114.

(2) أحمد الخشاب : التفكير الاجتماعي " دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية "، دار المعارف، القاهرة، 1970، ص 198.

(3) على عبد الرازق جلبي : مرجع سابق، ص 59.

3- للسلطة أهميتها في الحفاظ على المجتمع وبقائه واستمراره، ومتى تحققت الضرورة الاجتماعية عند الناس لإعانة الأفراد في سبيل إتمام حكمة الله في بقاء الجنس البشرى،وتحقق لهم ضرورة قيام السلطة في المجتمع حتى تنظم علاقاتهم تنظيما يكفل استمرار بقائه ويتجسد قيام السلطة لديه في قيام الملك [1].

4- يعتبر التطور خاصية هامة وأساسية من خواص المجتمع الإنساني، حيث ترتب على التاريخ الإسلامي والشعوب الشرقية، والوقوف على أسباب نشأتها وازدهارها ثم اضمحلالها قيام دولة على أنقاض أخرى، أن استخلص ابن خلدون قانونا أساسيا يحكم حركة المجتمعات الإنسانية وتطورها هو " قانون الأطوار الثلاثة للمجتمع الإنساني" [2] مؤداه " أن كل مجتمع إنساني لابد أن يسير في طريق طبيعي، يبدأ بطور النشأة والتكوين، ثم طور النضج والاكتمال، وأخيرا طور الهرم والشيخوخة، حيث يقوم على أنقاضه مجتمع آخر يسير في المراحل نفسها التي سار فيها المجتمع السابق "، ويختلف هذا القانون في شدته ودرجته باختلاف الإنسانية، فمنها ما يبقى مدة طويلة في طور النضج ومنها ما يقاوم الشيخوخة ومنها ما يموت يافعا.

5- تتمثل الفروق بين المجتمع القبلي والمجتمع المتحضر، في أن المجتمع القبلي يستند إلى العصبية،وأن العصبية والفضيلة والدعوة الدينية تعتبر عوامل ديناميكية في تطوره، وأن الانفراد بالمجد والسلطان والركون إلى السكون والدعة والانتفاع بثمرات الحضارة،تعتبر من دعائم المجتمع المتحضر،وأنه يمكن أن ينفذ

---

(1)أحمد الخشاب : مرجع سابق، ص 200.

(2) على عبد الرازق جلبي : مرجع سابق، ص 60.

الفساد إلى هذا المجتمع من خلال الناحية الاقتصادية والقيم الروحية، وهنا يكون مآل التقدم الاجتماعي المصحوب بتقدم ملحوظ في وسائل المعيشة والحياة الاجتماعية إلى النكوص،ذلك لأن الحضارة تحدث آثار سيئة في الجسم والعقل وفى أخلاق الناس لأنها تؤدى إلى الترف، وهذا يؤدى بدوره إلى الخمول وضعف الوعي القومي [1].

سابعا: **نقد علم العمران**:

في كتابه " **دراسة التاريخ** " يقول " **توينبي** " عن " **ابن خلدون** " أنه المؤرخ والفيلسوف الاجتماعي العظيم، الذي أنتج أعظم كتاب من نوعه ألفه عقل إنساني في أي زمان أو أي مكان، ومع ذلك نجد أن هناك بعض الأمور التي وجهت إلى " **ابن خلدون** " منها:

1- ادعى كثير من المستشرقين أن فكرة " ابن خلدون " عن المجتمع لم تكن واضحة كل الوضوح،ووصفوه بأنه من أنصار المدرسة الحيوية،وأنه اعتمد في دراسته لظواهر المجتمع على دراسة الفرد،وأنه أرجع في كثير من المناسبات العوامل المؤثرة في ظواهر الاجتماع إلى عوامل بيولوجية [2].

2- هام ابن خلدون بالسلطة السياسية، بل ودعمها فكرا وعلما،لأنه نظر إلى السلطة السياسية نظرته إلى عامل أساسي وهام في تطور المجتمع وانتقاله من حالة إلى أخرى [3].

3- يسير تطور المجتمع في قوانين طبيعية ثابتة لا تتغير هي أشبه بقوانين علم الحياة التي تفسر بقاء واستمرار الكائن الحيوي والعضوي، ويدلل على أن قانون الحركة والتطور عند "ابن خلدون "شبيه بقوانين الكائنات الحية في

---

(1) نفس المرجع السابق : ص 61.

(2) غريب سيد أحمد وآخرون : المدخل في علم الاجتماع , دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995، ص 17.

(3) على عبد الرازق جلبي : مرجع سابق، ص 61.

العالم الطبيعي، الأمر الذي جعل نظريته تأخذ شكلا حيويا بيولوجيا يقارن فيه المجتمع وحياته بالجسم الحي والكائن وحياته، ذلك الكائن الذي لا يدوم نموه وارتقائه،وإنما لابد له من أن يضعف وينحل ثم ينتهي بالموت قطعا، والمجتمع البشرى لديه يتبع نفس هذا الاتجاه الحركي،فهو يولد كالطفل ثم يشب وينمو ويقوى ويترعرع ثم يضمحل،وأن هذا التطور أمر طبيعي لابد من حدوثه ولا سبيل إلى منعه، وأنه يتحرك في نظام حتمي يجعل من دورته قانون لا مرد لحركته [1].

4- يعاب على " **ابن خلدون** " أنه لم يحسن استغلال قواعده المنهجية، ولم يسر في تطبيقها للنهاية، فعلى الرغم من أنه قد وصل إلى طائفة غير يسيرة من القوانين الاجتماعية، غير أن معظم ما انتهى إليه لا يكاد يصدق إلا على الأمم التي لاحظها، وهى شعوب البربر والعرب، فالخطأ الذي وقع فيه ابن خلدون يرجع إلى نقص كبير في استقراء الظواهر، فهو لم يستقرأ الظواهر إلا عند أمم معينة وفى عصور خاصة، وانتهى من هذا الاستقراء الناقص إلى أفكار وقوانين ظن أنها تصدق في كل مجتمع وفى كل زمان [2].

5- حقيقة أن " **ابن خلدون** " نادى بضرورة إنشاء علم جديد، وأبرز بعض ملامح المنهج العلمي وأسس البحث في هذا العلم، إلا أن انتمائه الأسرى والطبقي وما أحاط به من ظروف جعلته قريبا من السلطة السياسية فكرا وممارسة، الأمر الذي كان من شأنه أن يبعد علم الاجتماع عن أداء وظيفته الثورية في المجتمع،وكذلك ميله نحو المحافظة على السلطة والظروف

---

(1) عبد العزيز عزت : تطور المجتمع البشرى عند ابن خلدون، منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، 1962، ص ص 41 – 43.

(2) مصطفى الخشاب : مرجع سابق، ص ص 154 – 155.

والأوضاع السائدة [1] ، وعلى الرغم من ذلك يعد " **ابن خلدون** " أول عالم يقرر في صراحة ووضوح نشأة هذا العلم الجديد،وأنه المنشئ الأول لهذا العلم الجديد،لأنه أول من استكمل الخصائص المنطقية التي يجب توفرها في كل علم من حيث " الموضوع،المنهج، الأغراض التي يرمى إليها "،وقد كان هو أول من عرض لدراسة هذا الموضوع بهذه الطريقة، وقد اعترف بذلك بعض المنصفين من الغربيين.

أوجست كونت

" 1798 **م** – 1858 **م** "

أولا: **لقبه وكنيته**:

ولد " أوجست كونت " بمدينة مونبليه بفرنسا عام 1798 م لوالدين كاثوليكيين،وفى عام 1814 م التحق بمدرسة الفنون التطبيقية بباريس،وفى عام 1816 م تزعم حركة عصيان قام بها الطلاب،وكان من نتيجتها أن طرد وبقية زملائه في نفس السنة الدراسية،وفى عام 1817 م أصبح سكرتيرا لسان سيمون الكاتب الاشتراكي الذي أثر في كونت إلى حد بعيد وأخذ عنه الدعوة إلى علم اجتماع عام يدرس المجتمع بالرغم من الاختلافات الفكرية بينهما، وفى عام 1826م بدأ كونت في إلقاء سلسلة من المحاضرات العامة في الفلسفة الوضعية،واضطر إلى الانقطاع عنها بسبب مرضه العقلي،وفى عام 1827 م حاول أن ينتحر غرقا في نهر السين، ثم عاد في عام 1829 م في إلقاء سلسلة من المحاضرات التي نشرها في ستة أجزاء بعنوان " محاضرات في الفلسفة الوضعية "، وفيها يبسط نظريته في

---

(1) غريب سيد أحمد وأخرون : المدخل في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ص 16 – 17.

المعرفة وفى العلوم، ويضع أسس العلم الجديد الذي أسماه في بادئ الأمر " الفيزياء الاجتماعية "،ثم أسماه بعد ذلك " علم الاجتماع sociology " [1].

ثانيا: أسباب نشأة علم الاجتماع:

تعثر علم الاجتماع بعد " ابن خلدون "،وعادت معالجة علم الاجتماع لا كعلم مستقل بذاته،وإنما مصطبغا بالصبغة الفلسفية في أغلب الأحوال،وظل الحال هكذا حتى جاء " كونت "في القرن التاسع عشر،وعلى يديه عاد المنهج العلمي في علم الاجتماع إلى الظهور،وتكاد تجمع الكتابات التي اهتمت بالتأريخ لعلم الاجتماع، على أن " كونت " هو الذي أوجد هذا العلم وأعطاه الاسم الذي اشتهر به منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم، فقد شهد كونت الآثار المباشرة التي ترتبت على الثورة الفرنسية،وروعته النتائج الهدامة للثورة،وخاصة فيما يتعلق منها بالتفكك الاجتماعي، والفوضى واضطراب النظام الأخلاقي، وحالة الفقر المادي والثقافي الذي كانت فيه كثير من الجماعات الاجتماعية [2].

لقد كانت رغبة " كونت " في إصلاح المجتمع الفرنسي دافعا دعاه إلى إنشاء علم الاجتماع، فقد لاحظ الفوضى تضرب أطنابها في ربوع مجتمعه، ولما حاول أن يتعرف على أسباب تلك الفوضى وجدها في الفوضى الفكرية، فالفكر عنده أساس كل إصلاح أو فساد في المجتمع، ورأى أن من أسباب تلك الفوضى أن الباحثين يسلكون منهجين مختلفين في تفسيرهم لكل من الظواهر الاجتماعية والطبيعية، فهم يسلكون منهجا علميا

---

(1) محمد على محمد : تاريخ الفكر الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص 81.

(2) السيد محمد بدوي : مبادئ علم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة، 1971، ص 109.

وضعيا للتعرف على حقائق الطبيعة والكشف عن قوانينها وعلاقاتها، بينما لا يسلكون المنهج نفسه في الظواهر الاجتماعية [1].

ويرى "كونت " أنه لا فائدة من علاج الفكر الفاسد إلا إذا خضعت الظواهر الاجتماعية للمنهج العلمي المتبع في الظواهر الطبيعية،وقال كونت أنه هو الذي سينشئ علم الاجتماع ليؤدى هذا الغرض،كما يؤكد أنه لكي يمكن فهم الناس لظواهر المجتمع على أساس المنهج الوضعي، يجب أن يتوفر شرطان [2] :

الأول: أن تخضع الظواهر الاجتماعية لقوانين تسير عليها ولا تخضع للأهواء والمصادفات، وذلك لأن فهم الظواهر الاجتماعية بطريقة وضعية هو عبارة عن القوانين التي تحكمها.

الثاني: أن يستطيع الأفراد التعرف على هذه القوانين لكي يفهموا الظواهر وفق ما ترسمه قوانينها من حدود وأوضاع.

ويرى " كونت " أن الشرط الأول متوافر في الظواهر الاجتماعية، لأنها جزء من الطبيعة الكلية، وجميع نواحي هذه الطبيعة قد خضعت لقوانين ثابتة أمكن الوصول إليها، أما الشرط الثاني فلا يمكن توافره إلا إذا كشف الباحثون عن هذه القوانين، ولا يمكن الكشف عنها إلا إذا قام علم جديد وظيفته " **دراسة ظواهر الاجتماع دراسة علمية وضعية** "، وبقيام العلم الجديد يتم القضاء على الفوضى الفكرية ومن ثم يتم الإصلاح المنشود.

ثالثا: **موضوع علم الاجتماع**:

---

(1) أحمد رأفت عبد الجواد : مرجع سابق، ص 13.

(2) على عبد الواحد وافى : مرجع سابق، ص ص 132 – 134.

أدرك " **كونت** " الحاجة إلى وجود علم جديد يختص بدراسة المجتمع وشئونه،فكتب يقول " لدينا الآن فيزياء فلكية،فيزياء أرضية،آلية، ولكننا في حاجة إلى فيزياء أخرى، هي الفيزياء الاجتماعية حتى نستطيع أن نستكمل نسقنا المعرفي بالطبيعة "، بعد أن بدأ العالم البلجيكي " **كتيليه** " في إجراء دراسات إحصائية عن المجتمع، وأطلق على هذه المحاولات اسم " الفيزياء الاجتماعية " [1]، وحدد" **كونت** " موضوع هذا العلم بدراسة المجتمع الإنساني والظواهر الاجتماعية، والتي يجب على أية حال أن تدرس بذلك المنهج العلمي الذي تدرس به الظواهر الفلكية والطبيعية، باعتبار أن هذه الظواهر تخضع في مجملها لقوانين ثابتة.

يذهب" **كونت** " إلى أن هذا العلم الجديد رغم حداثة تكوينه ونشأته يتزعم العلوم الوضعية الأخرى وأصبح في قمتها، لأن موضوعه أكثر الموضوعات تركيبا وتعقيدا، وأن العلوم الوضعية ما هي إلا مقدمات تمهد له وتفسح الطريق لبحوثه، وذلك لأن المجتمع كثير التركيب والتعقيد، وكذلك الظواهر الاجتماعية تتفاعل عناصرها وتتداخل.

والواقع أن " **كونت** " لم يحاول تعريف موضوع علم الاجتماع أو ظواهره أو حتى يبين خصائصها،وإنما اكتفى بأن يقرر أن موضوع علم الاجتماع شامل لكل العلوم الإنسانية عدا موضوعات العلوم الطبيعية والرياضية، وقد قسم كونت **موضوعات علم الاجتماع** إلى قسمين هما [2]:

---

(1) شعبان الطاهر الأسود : مبادئ علم الاجتماع، منشورات جامعة السابع من أبريل، ليبيا، 2004، ص 51.

(2) قبارى محمد إسماعيل : أصول علم الاجتماع ومصادره، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1978، ص ص 67 – 69.

الأول : الـــــديناميك الاجتمـــــاعي : Social Dynamic، ويهــتم بدراســة الاجتمـاع الإنسـاني مـن حيـث تطـوره وتغيـره مـن حـال إلـى حـال، وتهـتم الاستاتيكا بدراسـة ومعرفـة الشـروط الهامـة والضـرورية للوجـود الاجتمـاعي، وهى تقوم على فكرة الثبات والاستقرار والتضامن والنظام،إلى جانب الاعتماد المتبادل بين أجزاء النسق المختلفة،والمجتمع في العادة يتكون من مجموعة مـن الـنظم والقواعـد سـواء أكانـت سياسـية أم اقتصـادية أو دينيـة،التي هـي بطبيعـة الحـال مترابطـة ومنسقة،إلى جانـب أنهـا متضـامنة علـى أنهـا تثبـت وتستقر خـلال فترة معينـة مـن تاريخهـا،وعلى اعتبـار أن " كونـت "قد نـادى بالديانة الوضعية التي تحل مشاكل المجتمع الإنساني،لذا يعد الدين مصدرا رئيسيا للثبات الاجتماعي والوحدة والتضامن، هذا واعتبر " **كونت** " الأسرة هي الوحدة الأساسية للتحليل الاجتماعي، كما أنه ميز بين الدولة والمجتمع والحكومة والأمة،والدولة في اعتقاده هي كيان مصطنع إلى حد ما، ولكنها كما يؤكد من ناحية أخرى هي نظام طبيعي،لأن أي مجتمع لا يمكن له البقاء دونها، وأن التضامن الاجتماعي يتحقق بإصلاح نظام التربية والتعليم والأسـرة والنظـام السياسـي [1]، كمـا أنـه أشـار إلـى أن الـنظم الاجتماعيـة والسياسية لأي مجتمع تستمد في الأصل من عاداته وتقاليده والنسق الفكري السائد فيه،الأمر الذي يجعل تحقيق نوع من الوحدة في العقائد والطموحات من أول الشروط لتحقيق الوجود الاجتماعي.

الثاني: الإستاتيك الاجتماعي : Social Static، ويهتم بدراسة المجتمعات الإنسـانية فـي حالـة اسـتقرارها، وباعتبارهـا ثابتـة فـي فتـرة معينـة مـن

(1) شعبان الطاهر الأسود : مرجع سابق، ص 52.

تاريخها،وتتطلب الديناميكا دراسة الحركات والتغيرات التي تطرأ على المجتمع، كما يؤكد على أن الديناميكا نوع من الدراسات التي يجب أن تكون إمبيريقية، فالديناميكا معنية بالدرجة الأولى بالتطور الذي يصيب العلاقة بين الأنظمة الأساسية في مختلف المجتمعات،فهي تبدأ بدراسة النمو في حد ذاته [1].

والشعبة الأولى " الديناميكا " في نظر "كونت "لها أهميتها أكثر مما للثانية " الاستاتيكا "، وذلك لأن الاستاتيك يعتمد كثيرا على النظريات الديناميكية، ولا يمكن الوصول إلى القوانين الاستاتيكية إلا بعد كشف القوانين الديناميكية في المجتمع.

رابعا: **أغراض علم الاجتماع**:

حدد " كونت " الأغراض التي يسعى إليها علم الاجتماع في اثنين هما:

الأول: أغراض مباشرة: وترمى إلى الكشف عن طبيعة الظواهر الاجتماعية والقوانين التي تخضع لها في استقرارها وتطورها.

الثاني : أغراض غير مباشرة : يرى كونت أن هذه الدراسة تعتبر وسيلة للإصلاح الاجتماعي عن طريق إصلاح الفكر ثم إصلاح الأخلاق [2].

خامسا: **منهج البحث في علم الاجتماع**:

تتكون قواعد المنهج عند " كونت " [3] من " الملاحظة والتجربة والمقارنة والمنهج التاريخ " كما يلي :

1- الملاحظة: لا تقتصر الملاحظة الاجتماعية على الإدراك المباشر للظاهرة أو الوصف المباشر للحوادث، وإنما تتطلب الملاحظة النظر إلى الحقائق

---

(1) محمد على محمد : مرجع سابق، ص 93.

(2) على عبد الواحد وافى : مرجع سابق، ص ص 136 – 137.

(3) على عبد الرازق جلبي : مرجع سابق، ص ص 67 – 69.

الاجتماعية على أنها موضوعات منعزلة عنا وخارجة عن ذاتنا ومنفصلة عن شعورنا الفردي حتى نستطيع التوصل إلى نتائج أقرب إلى حقائق الأمور.

2- التجربة الاجتماعية: التي تقوم بمقارنة ظاهرتين متشابهتين في كل شيء، ومختلفين في حالة واحدة، ووجود مثل هذه الحالة إنما هو بمثابة تجربة لأننا نستطيع أن نستنتج بسهولة أثر هذا العامل الذي كان سببا في اختلاف الظاهرتين، وإن كانت الطبيعة لا تمدنا بتجارب مباشرة من هذا النوع، فإنها تمدنا بتجارب غير مباشرة، تلك التي توجد في الحالات المرضية التي تصيب المجتمع.

3- المقارنة الاجتماعية: وتقوم على مقارنة المجتمعات الإنسانية بعضها ببعض للوقوف على أوجه الشبه والتباين بينهما، أو تتم المقارنة بين الطبقات أو الهيئات في نطاق شعب واحد أو مجتمع محدود للوقوف على حالتها الاجتماعية ومستوى معيشتها ومعاييرها ولهجاتها، أو قد نقارن جميع المجتمعات في عصر ما بالمجتمعات الإنسانية نفسها في عصر آخر لتحديد مبلغ التقدم الذي تخطوه الإنسانية في كل طور من أطوار ارتقائها.

4- المنهج التاريخ: ويسميه " **كونت** " بالمنهج السامي، ويقصد به المنهج الذي يكشف عن القوانين الأساسية التي تحكم التطور الاجتماعي للجنس البشرى، وأقام منهجه هذا على أساس قانونه الشهير " قانون الحالات الثلاث " الذي ادعى أنه استخلصه من دراسة تاريخ الإنسانية دراسة علمية.

سادسا: نتائج دراسته في علم الاجتماع:

انتهى" **كونت** " من دراساته في علم الاجتماع إلى قانون " **الأحوال الثلاثة، وقانون التقدم، وقانون التضامن الاجتماعي** "، إذ يقع القانونان الأولان تحت

القسم الأول من أقسام علم الاجتماع وهو" **الديناميك الاجتماعي** "، ويقع القانون الأخير تحت قسم " **الاستاتيك الاجتماعي** " كما يلي:

1- في قانونه " **الأحوال الثلاثة** " يرى **كونت** أن التفكير الإنساني يمر في كل فرع من فروع المعرفة من مرحلة التفكير اللاهوتي إلى مرحلة التفكير الفلسفي ثم إلى مرحلة التفكير الوضعي[1]، ويستدل " **كونت** " على صحة قانونه هذا بالرجوع إلى تاريخ العلوم وتاريخ الإنسانية، ويشبه المراحل التي مر بها التفكير الإنساني بالمراحل التي يمر بها الفرد في نشأته ونموه، فالمرحلة اللاهوتية تشبه مرحلة الطفولة،والميتافيزيقا تشبه مرحلة الشباب والمراهقة، والمرحلة الوضعية تشبه مرحلة الرجولة والاكتمال التي يصل إليها الفرد.

2- **قانون التقدم :** يرى " **كونت** " أن التقدم سيرا اجتماعيا نحو هدف معين لا يمكن الوصول إليه إلا بعد المرور بأدوار ضرورية محددة،وعادة ما يكون انتقال الإنسانية من مرحلة إلى أخرى مصحوبا بتقديم أو تحسين يبدو في مظهرين، تقدم في حالتنا الاجتماعية، وتقدم في طبيعتنا الإنسانية [2].

3- قانون التضامن الاجتماعي : يرى" كونت" أن مظاهر الحياة الاجتماعية يتضامن بعضها مع بعض، وتسير أعمال كل منها منسجمة مع أعمال ما عداها،وتتضافر جميعها على حفظ المجتمع وصيانة حياته،فهي تشبه أجهزة الجسم الحي،إذ يختص كل منها بوظيفة تختلف عن وظيفة ما عداه، ولكي تنسجم هذه الوظائف كلها بعضها مع بعض وتتضافر على حفظ الكائن

---

(1) مصطفى الخشاب : مرجع سابق، ص ص 220 – 221.

(2) على عبد الرازق جلبي : مرجع سابق، ص 143.

وصيانة حياته [1].

سابعا: **نقد علم الاجتماع عند كونت**:

على الرغم من أن "أوجست كونت " هو المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع، فهو الذي أوجد هذا العلم وأعطاه الاسم الذي اشتهر به، إلا أن هناك عدة انتقادات وجهت إليه لعل أهمها [2]:

1- كانت أسباب نشأة علم الاجتماع كما تصورها " **كونت** " أسبابا خيالية، جاءت محصلة لتفكيره الخاص ولا تمت للواقع بصلة، إذا لم يكن جميع الناس في عهده يفهمون ظواهر الطبيعة فهما وضعيا، لأن هذا النوع من الفهم كان مقصورا على المستنيرين من الناس الذين لديهم فرصة دراسة مسائل العلوم، كما أنه ليس صحيحا أن جميع الناس في عهده كانوا يفهمون ظواهر الاجتماع فهما غير وضعي، وإنما كانت هذه الظواهر موضوعا للدراسة العلمية وتوصل الباحثون بصددها إلى عدد من القوانين العلمية.

2- بالرغم من أن قواعده المنهجية كان لها قيمتها العلمية، إلا أنه لم يلتزم بها في دراسة موضوعات العلم، وانحرف عنها انحرافا ظاهرا أدى به إلى قوانين لها طابع فلسفي بدلا من أن يصل إلى قوانين مستخلصة من طبيعة الأشياء.

3- تصور " **كونت** " أن الإنسانية كل لا يتجزأ، وطبق عليه قانون " الأحوال الثلاثة " مع أن هناك مجتمعات جزئية مختلفة، وأن هذه المجتمعات لا

---

(1) على عبد الواحد وافى : مرجع سابق، ص 143.

(2) لمزيد من التفصيل انظر:

على عبد الرازق جلبي: مرجع سابق، ص 73.

محمود عوده وآخرون: نشأة علم الاجتماع، دراسة في سوسيولوجيا المعرفة، في دراسات في علم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة،1975، ص 59.

تسير على وتيرة واحدة في فهم الأشياء وفى إدراك الظواهر وفى تطور هذا الإدراك، وقد تختلف المراحل التي يمر بها مجتمع عن المراحل التي يمر بها مجتمع آخر.

4- أن تطور شئون المجتمع لا ينجم عن تطور التفكير فقط، وإنما ينجم عن عوامل كثيرة تتفاعل آثارها وتتحد نتائجها، وليس تطور التفكير ذاته إلا مظهرا من مظاهر تطور المجتمع.

5- أن التسليم بأن مظاهر الحياة الاجتماعية تتضامن بعضها مع بعض، لا يستقيم مع ما نشاهده في كل مجتمع من قيام تيارات نقدية واتجاهات ترمى إلى تقويض النظم الموجودة والنظريات المتناقضة.

6- أنشأ " كونت "علم الاجتماع بهدف إصلاح المجتمع، ورأى أن التفكير الوضعي هو وحده القادر على إعادة تنظيم المجتمع من خلال السياسة الوضعية، وهذا يعنى أن علم الاجتماع على هذا النحو يميل إلى المحافظة ويقبل المجتمع الصناعي " البرجوازي " بوصفه نهاية المطاف في التقدم الاجتماعي ويقف موقفا إيجابيا من نظمه الاجتماعية "الأسرة، الطبقات "، ويجعل من مهمته الأساسية الترميم والإصلاح لا الرفض والتغيير الجذري.

وبعد موت " أوجست كونت " انحرفت الدراسة في علم الاجتماع عن الحدود التي رسمها للعلم الجديد، فبعض الباحثين ألحقه بعلم الجغرافيا كما فعل " راتزل "، والبعض الآخر ألحقه بعلم الحياة كما فعل" هربرت سبنسر "، وبعضهم كان يدرسه داخل نطاق علم النفس، وقد جنت هذه الاتجاهات على استقلالية علم الاجتماع، وكادت تفقده شخصيته المتميزة.

الفصل الخامس

التنشئة الاجتماعية

تمهيد:

تعتبر عملية " التنشئة الاجتماعية " Socialization من أهم العمليات الاجتماعية التي تحدث في المجتمع، فكلنا يأتى إلى هذا العالم بطريقة واحدة، يبدأ وليدا صغيرا ليس لديه القدرة على مساعدة نفسه، ولا التمييز بين الأشياء، ومنذ ذلك اليوم يبدأ المجتمع حوله في تنميته طوال العمر، وإذا ما ركزنا حول تنمية الجانبين الاجتماعي والشخصي له، لوجدنا أن لديه كثيرا من المتطلبات المعقدة، كما أنه يمتلك مجموعة من الخصائص السلوكية والانفعالية تجعله يتميز عن بقية الأجناس الأخرى وتتيح له الاندماج والتفاعل مع الآخرين[1].

وينظر علماء الاجتماع إلى هذه العملية، على أنها العملية التي عن طريقها تتكون الشخصية الإنسانية، فهي قديمة قدم المجتمعات الإنسانية ذاتها، مارستها القبيلة والأسرة والشعوب منذ نشأتها الأولى، لتنشئ أطفالها على ما نشأت عليه، ولتحافظ بذلك على استمرار عاداتها وتقاليدها وخصائصها الاجتماعية المختلفة.

ولكن يرى البعض أنه في نهاية الثلاثينيات وبداية الأربعينيات من القرن العشرين، تم تناول التنشئة الاجتماعية بطريقة علمية، عندما نشر " بارك " بحثه عن " التنشئة الاجتماعية "عام 1939 باعتبارها إطارا مرجعيا لدراسة المجتمع، كما أشار " ادوارد زيجلر "، "ايرفن تشايلد " إلى أن التنشئة الاجتماعية مشكلة قديمة في الحياة الإنسانية وهى" كيف نربى الأطفال بحيث يصبحون كبارا مؤهلين للحياة في المجتمع الذي ينتمون إليه " [2].

---

(1) Edward F. Zigler and Michael E.Lamb ; Socialization and personality development, N.Y, Oxford university press,1982, p10.

(2) فؤاد البهى : علم النفس الاجتماعي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1998، ص 155.

أشار بعض علماء النفس الاجتماعي إلى أن التنشئة الاجتماعية لا تأتى عن طريق الخصائص البيولوجية وحدها، بل يكون لعملية التطبيع الاجتماعي دورا هاما، فيحكى تاريخ علم النفس عن " الطفل المتوحش " الذي عثر عليه في غابة " أفيرون " بجنوب فرنسا عام 1798،وكان يعيش حتى بلغ إثني عشر عاما كحيوان غير اجتماعي، ولقد نجح " إيتارد " في وضع برنامج يهدف إلى تنمية الناحية الاجتماعية عند هذا الطفل في تعليمه الاتصال عن طريق الكلام والقراءة لبعض الكلمات، إلا أنه فشل في تدريبه على ضبط النفس والتوافق الاجتماعي [1].

ومن هذا المنطلق فتنشئة الإنسان ولدت بميلاده ووجدت بوجوده، ولكن تغيرت أساليب التنشئة الاجتماعية للطفل عبر الأجيال، وأيضا طرق دراستها نتيجة لتغير المتطلبات الثقافية للمجتمع وعاداته وتقاليده ومستواه الحضري، وهذا التغير الحادث في المجتمع جعل الآباء والأمهات يهتمون اهتماما كبيرا وأحيانا مبالغا فيه بالتنشئة الاجتماعية للطفل، بل في بعض الأوقات ينتابهم الشعور بالقلق، ويتساءلون هل يربون أولادهم بالطريقة السليمة أم لا ؟، وذلك بسبب الظروف الاجتماعية العامة التي تقوى الإحساس بعدم الأمان من ناحية الوالدين على الأبناء.

ولذا سوف نسلط الضوء في هذا الفصل على عدة قضايا محورية هي:

أولا: ماهية التنشئة الاجتماعية.

ثانيا: الهدف من التنشئة الاجتماعية.

ثالثا: مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

أولا: ماهية التنشئة الاجتماعية:

---

(1) عادل عز الدين الأشول : علم النفس الاجتماعي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1979، ص 269.

إن استمرار المجتمع في البقاء يحتم حصوله المستمر على أعضاء جدد، ولذلك فهو يعمل على تحويل المادة الإنسانية الخام في الأطفال حديثي الولادة إلى أعضاء كاملي العضوية في المجتمع [1] ، كما ترتبط التنشئة ارتباطا وثقا بعملية التعلم، بل هي في ذاتها عملية تعلم، " فهي عملية يتعلم من خلالها الأطفال كيف يكونون أعضاء مؤهلين أكفاء في مجتمعهم، ومن خلال التنشئة تنتقل الثقافة من جيل إلى جيل، ومن هنا يستطيع المجتمع أن يبقى، كما أنها عملية لتنمية الذات، فالشخص وهو ينمو في جماعة يكتسب كينونة وإحساس بالذات ومجموعة من الخصائص التي تميزه، فالتنشئة تخلق وتعدل الشخصية الفردية من المهد إلى اللحد، ورغم أن علماء الاجتماع يفرقون بين نقل الثقافة وخلق وتطوير الذات، إلا أنهما وجهان لعملة واحدة [2].

ومن هذا المنطلق وردت تعريفات كثيرة لمفهوم **التنشئة الاجتماعية** منها:

1- يرى " **وليم ولامبرت** " أن التنشئة الاجتماعية هي ما يتعلم فيها الفرد كيف يصبح عضوا في أسرته وفى مجتمعه المحلى وفى جماعته القومية منذ الطفولة المبكرة وهى تتقدم مع تقدم المجتمع " [3].

2- وهناك من يعرفها بأنها " عملية تعلم وتعليم وتربية تقوم على التفاعل الاجتماعي، وتهدف إلى إكساب الفرد طفلا فمراهقا فراشدا، سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق الاجتماعي معها، وتكسبه الطابع الاجتماعي وتيسر له الاندماج في الحياة

---

(1) سناء الحولي : المدخل إلى علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992، ص 130.

(2) Leonard Broom and others : Sociology,california,wadsworth company, 1990,p.69.

(3) وليم ولامبرت ووولاس : علم النفس الاجتماعي، ترجمة سلوى الملا، دار الشروق، القاهرة، 1993، ص 27.

الاجتماعية "[1].

3- وتعرف بأنها " تبنى الطفل لمجموعة من القيم وردود الأفعال تحت تأثير البيئة التي ينشأ فيها وأنماط التفاعل في تلك البيئة "، وهناك من يرى بأنها " تلك العمليات التي من خلالها يتشرب الطفل الأنماط السلوكية التي تميز ثقافة مجتمعه وتميزه عن ثقافة المجتمعات الأخرى"[2].

4- يرى آخرون بأنها " عملية ذات اتجاهين، فهي تحتوى نوعا من التأثير المتبادل والمباشر في نفس الوقت بين الطفل وأبويه من ناحية، وبين الاثنين والمجتمع المحيط بهما من ناحية أخرى " [3].

نخلص مما سبق أن **عملية التنشئة الاجتماعية** تعد في غاية الأهمية بالنسبة لكل من الفرد والمجتمع، فعن طريق هذه العملية يكتسب الفرد الذات الاجتماعية، ويتكون بناء شخصيته، كما أن المجتمع تنتقل ثقافته من جيل إلى جيل عن طريق هذه العملية.

كما يجب أن نؤكد أن عملية التنشئة الاجتماعية مستمرة لا تقتصر على السنوات الأولى من عمر الإنسان إذ أن الفرد يحتاج إلى عمليات تنشئة مستمرة تبعا للمواقف الجديدة التي يتعرض لها طوال حياته، كما يمكننا القول بأن عملية التنشئة الاجتماعية تختلف من مجتمع لآخر، فكل مجتمع له معاييره وقيمه وطريقته في الحياة، ومن ثم يوجد في كل مجتمع أنماط معينة من الشخصية، تختلف عن غيرها من أنماط الشخصية التي توجد في المجتمعات الأخرى.

---

(1) مختار حمزة : أسس علم النفس الاجتماعي، دار المجتمع العلمي، جدة، 1979، ص 173.

(2) هدى محمد قناوى : الطفل تنشئته وحاجاته، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1993، ص.23

(3) محمد الجوهري وآخرون : الطفل والتنشئة الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1991، ص 83.

ثانيا: الهدف من التنشئة الاجتماعية:

يمكن القول بأن عملية التنشئة الاجتماعية بأنها عملية للتفاعل الاجتماعي التي نكتسب عن طريقها طرق التفكير والشعور والعمل الضرورية للمشاركة الفعالة داخل المجتمع، ومن هنا يتضح أن للتنشئة الاجتماعية عدة أهداف منها:

1-لقد كانت ولا تزال الغاية الأساسية من التنشئة الاجتماعية في كل الثقافات من أبسطها إلى أشدها تعقيدا، هي **تربية أشخاص متوافقين** ليسهموا في تقدم المجتمع ورقيه، لا ليكونوا عبئا عليه بعدم قدرتهم على التكيف والتوافق، وهذا ما تهدف إليه التنشئة الاجتماعية السليمة، حيث تتطلب العمل على تكامل شخصية الفرد الاجتماعية، بحيث يجرى تزويده بمتطلبات عملية التكيف الاجتماعي وأساليبها بما يجعله قادرا على مواجهة كل التغيرات التي تتطلبها حياة المجتمعات [1].

2- كما أن عملية التنشئة الاجتماعية للطفل تجعل من الممكن إدخاله في إطار منظومة الأوضاع الاجتماعية، وتلك الأوضاع المرتبطة بأداء الواجب، وهو ما يدعم مهاراته وقدراته الادراكية واستعداده للتمكن والاعتداد بالنفس وإشباع الحاجات العاطفية الأساسية للطفل، حيث أن الطفل يولد ولديه حاجات لابد من إشباعها بأي وسيلة، والتنشئة يستخدمها المجتمع في تحديد الطرق المقبولة لإشباع تلك الحاجات التي يستحسن بعضها ويستهجن الأخرى [2].

3- التنشئة الاجتماعية عملية ذات جانبين، فهي تقوم على ضبط وكف

---

(1) عبد الهادي الجوهري : مدخل لدراسة المجتمع ،مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1996،ص 31.

(2) نفس المرجع السابق : ص 32.

الطفل عن فعل كثير مما يشتهى ،إلا أنها في الوقت ذاته تعينه وتشجعه على أن يتعلم كيف يحقق كثيرا مما يريد، فهي تنهاه عن القيام بأعمال يميل إليها بطبعه وتأمره بأداء أعمال لا يميل إليها بطبعه، وعلى هذا النحو تغرس التنشئة الاجتماعية في نفس الطفل بذور سلطة داخلية هي " الضمير " الذي يأخذ في النمو ويقوى بالتدريج مع نمو الطفل ونضوجه خلال مراحل نموه المتعاقبة [1].

4- من الواضح أن عملية التنشئة الاجتماعية تختلف باختلاف نماذج البيئة المحلية وحجمها ووظائفها، إلا أنها إذا قامت على أساس من فلسفة مجتمع يؤمن بالحركة والنمو والتغير، أي على أساس من بنيان اجتماعي مفتوح يؤمن بكرامة الإنسان وبحقه في التطور والتدرج إلى أعلى الدرجات في السلم الاجتماعي، أدت إلى تنشيط عملية الحراك الاجتماعي بحيث يعمل الأفراد وينشطون على أساس من هذه الفلسفة التي تشربتها نفوسهم منذ الصغر عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية [2]، وهذا يعنى أن التنشئة تختص بتطوير شخصية متميزة لكل فرد، ذلك لأن سمات الجماعة لا يتشربها كل الأفراد بنفس الطريقة، إنما تتفاعل بدورها مع الخبرة الحضارية والخبرة في الجماعة الضيقة والخبرة الشخصية بطرق معقدة لتؤثر بدورها على الأفراد، ثم إن هذه العملية تخلق تنوعا مذهلا من الشخصيات المختلفة.

5- أيضا تهدف التنشئة الاجتماعية إلى الوصول بالطفل إلى مرحلة يكون

---

(1) فوزية دياب : نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ص 120.

(2) عبد الهادي الجوهري : مرجع سابق، ص 63.

فيها قد تشرب ثقافة مجتمعه وقيمه وعاداته وتقاليده، إلى مرحلة يعتمد فيها على نفسه، ويكون قادرا على التفكير الحضاري السليم واتخاذ قراراته بنفسه وتحمل مسئوليتها.

ثالثا: مؤسسات التنشئة الاجتماعية:

تتم عملية التنشئة الاجتماعية بطرق مختلفة " رسمية أو غير رسمية، كما تحدث هذه العملية في جميع المجتمعات الإنسانية، سواء كانت مجتمعات "بدائية أو تقليدية أو حديثة "، ويتولى القيام بهذه العملية بعض الهيئات أو الجماعات المختلفة الموجودة داخل المجتمعات الإنسانية.

وفى المجتمعات الحديثة، يتولى القيام بعملية التنشئة الاجتماعية، هيئات مختلفة لعل أهمها " الأسرة، المدرسة، جماعة الرفاق، وسائل الإعلام، دور العبادة "، وفيما يلي عرض بإيجاز لكل منها:

أولا :الأسرة : تعتبر الأسرة أول وأهم الهيئات التي تقوم بعملية التنشئة الاجتماعية للطفل في جميع المجتمعات الإنسانية، خاصة وأن الأسرة تعتبر ظاهرة عالمية لا يخلو منها أي مجتمع إنساني، وترجع أهمية الأسرة إلى أنها الجماعة الأولية التي تتحمل المسئولية الرئيسية في تنشئة الأطفال، وخاصة في السنوات الأولى من عمرهم، ففي الأسرة يتعلم الأطفال المعايير والقيم الثقافية ويكتسبون اللغة وغيرها من الرموز والمهارات اللازمة لحياتهم المقبلة [1].

ثانيا :المدرسة : وهى الهيئة الرسمية التي يتم إنشاؤها تحت إشراف المجتمع،

---

(1) محمد صفوت الأخرس : التخطيط الاجتماعي في مجال رعاية الأطفال والشباب، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، العدد 1، 1973، ص 16.

فعند انتقال الطفل من البيت إلى المدرسة يجد نفسه تحت إشراف مباشر من أفراد لا ينتمون إلى أسرهم ولا تربطهم بهم أية صلة قرابة، كما يجد نفسه أيضا أمام مواجهة عدة أشياء يتفاعل معها " زملائه، الفصل الدراسي، مدرسيه، المنهج الدراسي "، وهذا يعنى أن الطفل يتعلم داخل المدرسة طاعة الآخرين والامتثال لقواعد المجتمع وقيمه ومعاييره المختلفة [1].

كما أن **المدرسة** تمارس دورا هاما باعتبارها البيئة المتخصصة في تربية الأبناء على أسس وقواعد علمية سليمة، كما أنها تغرس في الطفل عامل الانتماء لمجتمعه وتساعده في الانتقال من طفل معتمد على غيره إلى رجل يستطيع أن يستقل بنفسه معتمدا عليها، كما أنها تسهم في تحقيق تكيف الطفل مع الآخرين [2] ، وهذا يوضح أن عملية التنشئة الاجتماعية ترتكز أساسا على المدرسة التي هي أساس كل المجهودات والأهداف التعليمية المنظمة والتي تعطى للعملية التعليمية اتجاها محددا.

ثالثا :جماعة الرفاق : وهى مجموعة من الأصدقاء والزملاء في البيئة الخارجية التي تحيط بالطفل في المدرسة أو الحي أو النادي، ولقد برزت أهمية هذه الجماعة في تشكيل قيم الأفراد مع التحولات الاجتماعية في العقود الأخيرة التي كان من نتائجها ضعف الروابط الاجتماعية بين الآباء والأبناء، وظهور ما يسمى بصراع الأجيال بين أعضاء الأسرة الواحدة تجاه مواقفهم من القيم المختلفة الموجودة في ثقافة المجتمع [3].

وتمارس هذه الجماعة تأثيرا كبيرا بالنسبة للتنشئة الاجتماعية للطفل،

---

(1) أحمد زكى صالح :علم النفس التربوي، مكتبة النهضة العربية،القاهرة،1992، ص 184.

(2) عبد الهادي الجوهري : مرجع سابق، ص 61.

(3) K.Langton: Political socialization, london,oxford university press, 1969. p.36.

وكلما كبر الطفل يزداد ارتباطه بجماعة النظراء، التي تتكون عادة من أطفال في نفس السن ونفس المستوى ويتقاسمون اهتمامات مشتركة، وقد يميل الطفل إلى قضاء معظم وقته في صحبة هذه الجماعة أكثر مما يميل إلى قضاء معظم وقته مع الوالدين في الأسرة.

وترجع أهمية **جماعة الأقران** إلى أنها تعلم الطفل كيف يختار أصدقائه، وكيف يتفاعل معهم على أساس وجود نوع من المساواة بين كل أعضاء الجماعة، كما أوضحت الكثير من الدراسات أن مدى تأثر الفرد بالصحبة ومدى ما يتقبله من قيمها واتجاهاتها ومعاييرها هو أمر يتوقف على العلاقة بين الفرد والصحبة، فكلما ازدادت درجة هذه العلاقة، كلما ازداد مدى تمثل الفرد لما اصطلحت عليه الجماعة من أنماط سلوكية [1].

مما سبق يتضح أن **لجماعة الرفاق** دورا مهما في تشكيل ثقافة الطفل، فعلماء النفس يجمعون على أن الخبرات الاجتماعية السليمة والعلاقات الكثيرة التي تتوفر للطفل في السنوات الأولى من حياته لها دور هام في تكوين وبناء شخصيته وسلوكه ومواقفه واتجاهاته وتوافقه النفسي والاجتماعي، وبذلك تمارس جماعة الرفاق دورا في إعادة تشكيل القيم الاجتماعية، كما لها تأثير قوى على السلوك الاجتماعي لأعضائها.

رابعا : وسائل الإعلام : وهى من أهم الوسائل الأكثر تأثيرا في تنشئة الأطفال في الوقت الراهن، فهي درب من دروب الضبط الاجتماعي الذي يهدف إلى توجيه أفراد المجتمع من جانب والتعبير والتنفيس عنهم من جانب آخر، لذا فالمواد الإعلامية أشبه بمرآة تعكس ما هو قائم في المجتمع وتعمل على

---

(1) سناء الخولي : مرجع سابق، ص 153.

دعم ايجابياته ونبذ واستبعاد سلبياته، ولذا يمكن القول بأن الدور الرئيسي للإعلام يتمثل في صيانة اتجاهات وقيم الشرائح الاجتماعية المختلفة بهدف رسم معالم الشخصية القومية بما يتفق والأيديولوجية القائم عليها نظام المجتمع ككل [1].

ولا شك أن **وسائل الإعلام** تمارس دورا هاما فيما يتعلق بتنشئة الطفل، فهي تنقل إليه الكثير من الأحداث الاجتماعية والتغيرات التي تحدث في المجتمع، والتي تتدرج من وقائع الحياة اليومية العادية، إلى أخبار الاختراعات أو الاكتشافات الجديدة في جميع المجالات، كما أنها تقوم بنقل الثقافة من جيل إلى جيل باعتبارها أدوات ثقافية تساعد على دعم المواقف، ونشر الأنماط السلوكية بين الأفراد وتحقيق التكامل بينهم، وهذا يعنى أنها أنشطة معرفية واجتماعية ووجدانية لها صلة وثيقة بتعليم الطفل وتنشئته، بالإضافة إلى كونها وسيلة للتعرف على الفنون والآداب، مما يساعد على إكساب شخصية الطفل أبعادا نفسية واجتماعية سليمة تتفق مع أهداف المجتمع في التقدم والتطور [2].

مما سبق يتضح أن هناك ترابطا بين دور وسائل الإعلام في التنشئة ودور الأسرة والمدرسة وجماعة الرفاق، وبتكامل تلك الأدوار تتحقق إيجابية التنشئة الاجتماعية للطفل، كما يمكننا القول بأن وسائل الإعلام من الممكن أن تكون من أهم عوامل التقدم الإنساني، وأداة لنقل أسمى الأفكار والمشاعر الإنسانية إلى أكبر عدد ممكن من الأفراد.

---

(1) مها الكردي : الطفل في أجهزة الإعلام، دراسة نفسية استطلاعية، المجلة الاجتماعية القومية ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ج20، 1983، ص 175.

(2) السيد على شتا : البناء الثقافي للمجتمع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1995، ص ص 51 – 52.

خامسا: دور العبادة: وتعتبر من أهم المؤسسات لتلقين الطفل بعض القيم والمبادئ الأخلاقية وتنمية الضمير.....وغيرها من المثل التي غالبا ما تكون متناسقة مع المثل التي يتعلمها الأطفال من خلال مؤسسات التنشئة الأخرى، ويعتبر المسجد والكنيسة مراكز إشعاع في البيئة الاجتماعية والثقافية التي يوجد فيها، ومعهدا للتعليم والاطلاع الثقافي، ومكان لاجتماع القادة من أعضاء الحي الذي يوجد فيه، يتدارسون تحت إشراف المسجد أو الكنيسة مشاكل الحي الاجتماعية والثقافية، فضلا عن كونه مكانا للعبادة، فهو مركز اجتماعي يشترك مع غيره من أجهزة التنشئة الاجتماعية في عمليات التنمية الاجتماعية للمجتمع [1].

ويرى البعض أن الدور الذي يمكن أن تلعبه " **دور العبادة** " لا يقل عن دور الأسرة أو المدرسة لكونها أصدق مصدر لتلقين النشء القيم المختلفة، لأنها مستمدة من الكتب السماوية التي لا جدال فيها، حيث تمد الفرد بإطار سلوكي معياري، ومن شأن دور العبادة ترجمة التعاليم السماوية إلى سلوك عملي، ثم توجيه هذه السلوكيات الاجتماعية بما تضمن سلامة الفرد والمجتمع.

نخلص مما سبق: أن هناك العديد من الهيئات والمؤسسات التي تسهم في عملية التنشئة الاجتماعية، فهي عملية مستمرة لها تأثيرها المستمر على سلوك وشخصيات الأفراد خلال مختلف مراحل حياتهم.

---

(1) مهجة عبد المعز عطية : العلاقة بين التنشئة الاجتماعية والتو افق النفسي لدى الأطفال، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، 1991، ص 32.

الفصل السادس

الثقافة

تمهيد:

لا شك في أن دراسة " الثقافة " قد لاقت اهتماما كبيرا من قبل علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا، ولذا يجمع معظم المفكرين الاجتماعيين على أن العلوم الاجتماعية تختص بدراسة الطبيعة ما فوق العضوية Superorganic مثلما تختص العلوم الطبيعية بدراسة البيئة غير العضوية Dis organic، وتختص العلوم البيولوجية بدراسة البيئة العضوية " حيوان، نبات "، ولا شك أن هذه الطبائع الثلاث " العضوية، غير العضوية، ما فوق العضوية " تمثل كل الكون الذي خلقه الله سبحانه وتعالى من جميع جوانبه وبجميع مشتملاته لكونها أجزاء الناموس العام للطبيعة الكونية، فإن بينها علاقات وصلات متبادلة والإنسان هو نفسه يشارك في هذه الطبائع كلها، فهو يؤثر فيها ويتأثر بما فيها.

ويلاحظ أن صلة الإنسان تشتد بالطبيعة العضوية لأنه يشارك فيها مع الحيوان والنبات بصفتهم كائنات حية، وهو كذلك ينفرد بالطبيعة فوق العضوية، لأنها البيئة الخاصة بالإنسان باعتباره كائنا اجتماعيا، بمعنى أن الطبيعة فوق العضوية هي بيئة الإنسان الاجتماعية التي تشمل كل ما خلقته مهارة الإنسان وإبداعه، وما يتطلبه تطوره الثقافي والحضارة، وما يحتاجه ويلجأ إليه في مختلف وجوه نشاطه الاجتماعي ويطلق على هذه الأمور " التراث الثقافي الاجتماعي ".

ومن هنا يتضح أن **الثقافة إنسانية**، بمعنى أن الإنسان وحده هو المخلوق الذي يتميز بأن له ثقافة، والثقافة الإنسانية هي كل ما يقوم به المرء من أعمال وكل ما يؤمن به من اعتقادات وأفكار وكل ما يشعر به من صور

وأحاسيس، وكل ما تراكم لديه من عادات وأعراف وتقاليد، وكل ما يوجه سلوكه من علوم ومعارف وقوانين، وإذا كانت الثقافة من صنع الإنسان ولا توجد إلا حينما وجد المجتمع الإنساني، فالإنسان خاضع لها وملتزم بها وهو يثنى عليها ويمجدها ويحرص عليها وبإمكانه أن يضيف إليها.

ويتضح أهمية دراسة موضوع الثقافة بالنسبة لعالم الاجتماع إذا علمنا أننا لا يمكن أن نفهم اختلاف سلوك الجماعات التي تنتمي إلى مجتمعات مختلفة دون دراسة ثقافة هذه المجتمعات، فالثقافة لها تأثير كبير في توجيه وضبط سلوك الأفراد داخل المجتمع، بالإضافة إلى أنها تساعدهم على التكيف مع البيئة [1].

ورغم أهمية دراسة موضوع الثقافة لعلم الاجتماع، إلا أنه يجب مراعاة أن عالم الاجتماع لا يدرس الثقافة لذاتها، إذ أنها تشكل الموضوع الرئيسي للدراسة في علم الأنثروبولوجيا الثقافية، ولكن عالم الاجتماع يهتم غالبا بدراسة هذا الموضوع نظرا لما تلقيه الثقافة من ضوء على العلاقات الاجتماعية التي تمثل الموضوع الرئيسي للدراسة في علم الاجتماع، وعليه سوف نسلط الضوء في هذا الفصل على عدة نقاط فرعية هي:

أولا: فكرة الثقافة.

ثانيا: مفهوم الثقافة.

ثالثا: عناصر الثقافة.

رابعا: خصائص الثقافة.

خامسا: مقومات التكامل الثقافي.

أولا: فكرة الثقافة.

---

(1) Ely Chinoy; Sociological perpective, R. House, New York, 1986,p.47.

زحفت " **فكرة الثقافة** " على موضوعات علم الاجتماع وأصبح معالجة العوامل الثقافية في الجماعة أو الشخصية أو التفاعل الاجتماعي أو العمليات الاجتماعية أمرا ضروريا، فلا يمكن فهم أي موقف اجتماعي أو كشف حقيقة اجتماعية دون الإشارة إليها.

ويقال غالبا أن الإنسان في المجتمع يتأثر بالبيئة التي تحيد به،أي البيئة التي يولد فيها، ولكن البيئة تتكون من أشياء كثيرة، وأحد هذه الأشياء هي الطبيعة Nature،ومع أن بعض الناس ينشئون في بيئة واحدة إلا أن لغتهم تختلف، وكذلك تختلف طرق الزراعة عندهم والإسكان والأسرة وتنظيم الزواج والقوانين....الخ، أو بمعني آخر يتأثر هؤلاء الناس ببيئة أخرى ن وقد سمى "**هربرت سبنسر**" هذه " فوق العضوية " أي البيئة التي تختلف وتعلو على البيئة الطبيعية، ولكن هذا الاصطلاح لم يكتب له الذيوع، بل ذاع استخدام كلمة الثقافة Culture المأخوذة من الأصل الألماني Kultur والتي تحمل نفس معنى Super organic [1].

ويمكن القول بأن هناك طريقتين يتحدد عن طريقهما سلوك الكائنات " الأولى من خلال الوراثة، والثانية من خلال التعلم من الجماعة، وفى حالة الإنسان تسهم الوراثة بسلوك مثل الرضاعة والابتلاع، بينما يكون سلوك آخر مثل تعلم لغة أو قيادة سيارة متعلما من الآخرين، هذا إلى أن العمليات المتضمنة في اكتساب هذين النمطين من السلوك مختلفة أساسا، فالأول عبارة عن العملية البيولوجية للانتقال عن طريق البويضة المخصبة، والثاني عبارة عن العملية السيكولوجية والاجتماعية التي تشتمل على

---

(1) معن خليل عمر وآخرون : المدخل إلى علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004، ص 176.

الانتقال عن طريق نسق من وسائل الاتصال يقوم على قدرة الإنسان على التعلم [1].

والسلوك الذي ينتقل عن طريق التعلم من جيل إلى جيل يسمى " الثقافة " Culture، ويمكن أن نتلمس البدايات الأولى للتعلم الاجتماعي والثقافي في العالم الحيواني، ولكن عدم وجود الكلام عند الأنواع الراقية من القردة يقيد بشكل ملحوظ القدرة على الاكتساب ويقلل من درجته، ولذلك فالإنسان وحده هو الذي له ثقافة [2].

ولم تكن للإنسان دائما ثقافة معقدة كما هو الحال الآن، فالثقافة تؤثر فيه بطرق متعددة، وهى تتكون من المخترعات أو السمات الثقافية المتكاملة في نسق على درجات متفاوتة من الارتباط بين الأجزاء، وهناك تصنيف مفيد لهذه الأجزاء في ضوء ما يسميه " **أوجبرن ونيمكوف**" **الثقافة المادية** Material culture، **الثقافة اللامادية** Immaterial culture، وكل من الثقافة المادية واللامادية ينتظمان حول إشباع الحاجات الرئيسية، الأمر الذي يعطى الإنسان نظمه الاجتماعية التي هي جوهر الثقافة، وتترابط نظم الثقافة لتكون نمطا Pattern يميز كل مجتمع على حده [3].

ثانيا: **مفهوم الثقافة**:

يجب أن نعترف أن هناك نوع من الجدل الذي لا ينتهي حول ما إذا كان اصطلاح " **Culture** " يترجم باللغة العربية إلى" **ثقافة** " أو "**حضارة** "، كما أن الناس قد يستخدمون مفهوم الثقافة في حياتهم اليومية للإشارة إلى

---

(1) Ogburn & Nimkoff, : op.cit, p. 29.

(2) محمد عاطف غيث،غريب سيد أحمد : محاضرات في علم الاجتماع، مرجع سابق،ص 143.

(3) Ogburn & Nimkoff , : op.cit, p.45.

المعرفة وقراءة الصحف والمجلات، أو ممارسة بعض الفنون " كالموسيقى، أو الذهاب إلي الأوبرا أو المتاحف أو المسارح.....وغير ذلك "، ومن ثم فإن هذا المفهوم الشائع لدى عامة الناس يقسم المجتمع، إلى صفوة Elite، جمهور أقل ثقافة، ويستخدم علماء الاجتماع مفهوم الثقافة بطريقة مختلفة تماما، فكل أعضاء المجتمع الذين يتحدثون بلغته قد اكتسبوا الثقافة، سواء أكانوا أو لم يكونوا يقرأون الصحف والمجلات، أو يمارسون بعض الفنون، أو يذهبون إلى المتحف والمسارح، فاكتساب الثقافة يتطلب مجرد مشاركة الأفراد في حياة المجتمع، وليس بالضرورة المشاركة في حياة الصفوة المثقفة [1].

ومن هنا يتضح صعوبة **إيجاد تعريف واحد محدد ومتفق عليه** من قبل علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا لهذا المصطلح البالغ الأهمية، ولذا سوف نعرض لبعض هذه التعريفات التي وردت كما يلي:

1- يرى "**مافيس بيسانز** " M.Biesanz،"**جون بيسانز** " J.Biesanz أن مفهوم " **الثقافة** " culture، يختلف عن مفهوم " **ثقافة ما** " Aculture، فالمفهوم الأول يشير إلي **الجزء الذي نتعلمه من السلوك الإنساني**، أما المفهوم الثاني فيشير إلى **طرق الحياة المميزة لهذا المجتمع** [2].

2- وقد يقتصر مفهوم " **الثقافة** " على الأفكار وأنماط السلوك دون الأشياء المادية مثل الأدوات والآلات، ويتبين ذلك من تعريف " **برنارد فيليبس** " B.

---

(1) Bernard Philips, : Sociology , From concepts to practice, N.Y. ; Mc Graw Hill Book Co., 1979,p. 30.

(2) M.Biesanz & J.Biesanz ;Introduction to sociology, prentice Hall,Inc., Englewood cliffs,New Jersey,1978,p.55.

philips، **للثقافة** على أنها "نسق من المعايير والقيم "،وكذلك تعريف "**هوبل** " E.A.Hoebl للثقافة بأنها " ذلك الكل المتكامل من السلوك المتعلمة التي تميز أفراد المجتمع والتي لا تنتج عن العوامل الوراثية البيولوجية " [1].

3- ومع بدايات **القرن العشرين** اتسع مفهوم " **الثقافة** " بحيث أصبح يدل على كل الجوانب المادية وغير المادية في الحياة البشرية، ويتضح ذلك من خلال التعريف الذي وضعه " **تا يلور** " E.B.Tylor، الذي يعتبر **الثقافة** " ذلك الكل المركب من المعارف والعقائد والفن والأخلاق والقانون والأعراف، وكل ما اكتسبه الإنسان بوصفه عضوا في مجتمع ما"[2]،ولعل هذا يوضح أن مفهوم الثقافة يتضمن كل جوانب الحياة الإنسانية من مادية وغير مادية التي يتعلمها ويشارك فيها أعضاء المجتمع.

4- كما نجد أن بعض التعريفات التي ظهرت لمفهوم الثقافة والتي تهتم بالجانب الرمزي وبتعلم الرموز، ويؤكد ذلك ما ذهب إليه " **تيرنر**" Turner من حيث أن **الثقافة** يمكن النظر إليها على أنها " نسق من الرموز التي لها دلالة أو معنى، والتي يكونها ويحافظ عليها أفراد المجتمع من أجل تنظيم شئون حياتهم" [3] ، ويعد هذا التعريف من أفضل التعريفات التي وضعت للثقافة، ومن التعريفات التي تهتم بالجانب الرمزي، تعريف " **هوايت** " **للثقافة** على أنها " الأشياء والأفعال ذات المعاني والتي تدرس في إطار غير

---

(1) B.Philips : op.cit., p.51.

(2) محمد عاطف غيث، غريب سيد أجمد : محاضرات في علم الاجتماع، مرجع سابق،ص 143.

(3) أحمد أبوزيد : البناء الاجتماعي، مدخل لدراسة المجتمع " الجزء الأول " المفهومات "، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1975 , ص 188.

شخصي "[1].

مما سبق نخلص إلى أن الاتجاهات المختلفة في تعريف الثقافة قد تأخذ اتجاها واقعيا والذي يرى أن **الثقافة** هي كل ما يتكون من أشكال السلوك المكتسب الخاص بمجتمع إنساني معين أو بجماعة معينة من البشر، وقد تأخذ الثقافة اتجاها تجريديا يرى الثقافة مجموعة أفكار يجردها العالم من ملاحظته للواقع المحسوس الذي يشتمل على أشكال السلوك المكتسب الخاص بمجتمع أو بجماعة معينة، وقد يظهر اتجاه ثالث يهتم بالجانب الرمزي، وهذا الاتجاه يعارض الاتجاه التجريدي، ويأخذ بالاتجاه الواقعي على النحو الذي ذهب إليه " **هوايت** ".

أيضا أوضحت التعريفات السابقة، أن بعضها يهتم بتوضيح مكونات الثقافة من جوانب مادية أو غير مادية، ويأخذ بعضها اتجاها بنائيا يهتم بالصيغ العامة وأنماط الفعل والسلوك، بالإضافة إلى أن هناك بعض التعريفات التي تهتم بالجانب الرمزي.

وعلى الرغم من هذه الاختلافات التي تبدو بين العلماء حول تعريفهم للثقافة، إلا أنه مما لا شك فيه أن الثقافة ظاهرة عامة توجد في جميع المجتمعات الإنسانية، وتؤثر في عملية التفاعل الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية التي تحدث بين الأفراد داخل هذه المجتمعات.

ثالثا: **عناصر الثقافة**:

تتمثل **عناصر الثقافة** في عدة أمور منها **اللغة، العادات، الأعراف، التقاليد،**

---

(1) محمد عاطف غيث،غريب سيد أحمد : محاضرات في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص 144.

الفنون المختلفة، العلوم والمعارف، القانون، الرأي العام، بالإضافة إلى النظم التي وضعها الإنسان لتنظيم حياته في المجتمع كما يلي [1]:

1- معرفة الإنسان لتاريخه ليست كاملة ذلك لأن اختراع الكتابة لم يحدث إلا منذ ستة آلاف سنة تقريبا، وكانت خبرات كل جيل تنتقل قبل ذلك إلى الجيل الآخر عن طريق المشافهة، ومن المعلوم أن اختراع الكتابة مكن الإنسان من تسجيل معرفته وزيادتها، الأمر الذي سهل تجمع عناصر الثقافة وزيادتها، ولذلك نجد أن علماء الاجتماع قد وجهوا جهودهم لدراسة السلوك المعاصر في أنهم استطاعوا أن يقيموا التعميمات التي يمكن أن تطبق على الماضي، لكي يتمكنوا من تفسير التاريخ في ضوء تفسير هذه التعميمات، وربما كان هذا الاتجاه هو البديل الوحيد أمام الباحثين لتفسير الوقائع الاجتماعية التي وقعت في المجتمع الإنساني منذ فترات طويلة قبل استطاعة الإنسان تسجيل معرفته وثقافته وحفظها عن طريق الكتابة.

2- يجمع الباحثون في علم الاجتماع على أن كل تغير يحدث في الكائن خلال فترة محددة يمكن أن يسمى " فعلا " والأفعال هي الوحدات الأولية للسلوك.

3- في عدد من المجتمعات البدائية تكون العادات الشعبية والعرف كافية لحفظ النظام في المجتمع، ولهذا من النادر أن يجرؤ فرد على مجرد التفكير في مخالفة هذه القواعد النظامية، ولكن المجتمع الحديث الذي يقوم على

---

(1) لمزيد من التفصيل أنظر:

- محمد عاطف غيث، غريب سيد أحمد : محاضرات فى علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ص 144 – 148.

- معن خليل عمر وآخرون: مرجع سابق، ص ص 180 – 182.

تقسيم العمل وما يستتبعه من تنظيمات اجتماعية متعددة ومعقدة تجعل الناس ينقسمون إلى جماعات وطوائف وطبقات، ومن ثم لابد أن يعتمد المجتمع بجانب العرف والعادات الشعبية على القانون الذي يحمى ويعاقب في نفس الوقت لحفظ النظام.

4- تعتبر النظم الاجتماعية من عناصر الثقافة وصورها الأساسية، وهي في الواقع عبارة عن تنظيم يشتمل على عدد من العادات وجوانب متعددة من العرف والقانون في بعض الأحيان تندمج جميعا في وحدة للقيام بعدد من الوظائف الاجتماعية.

5- التكنولوجيا وهي تضم أساليب السلوك التي يستغل البشر بواسطتها الموارد الطبيعية للحصول على الطعام ولتصنيع الأدوات والأسلحة والملابس والمساكن والأواني والمصنوعات المادية الأخرى العديدة اللازمة لأساليب حياتهم.

6- الاقتصاد ويتضمن أنماط السلوك وتنظيم المجتمع فيما يتعلق بإنتاج وتوزيع واستهلاك السلع والخدمات.

7- الدين والمعتقدات، ويشمل تفسيرات الإنسان للظواهر الكونية المحيطة به، سواء أكانت ظواهر طبيعية أم بشرية، وبالتالي أصبحت هذه التفسيرات جزءا من تفكيره وشعوره، فالدين عند المجتمعات البدائية على سبيل المثال، عبارة عن أنماط السلوك المتعلقة بعلاقات الإنسان بالقوى المجهولة، وأنساق المعتقدات والطقوس المرتبطة بتقديس هذه القوى.

رابعا: **خصائص الثقافة**:

ترتب على جهود علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا في اهتمامهم بدراسة الثقافة عدة نتائج أسهمت في إثراء فهمنا لهذه الظاهرة كان من أهمها

استخلاص عدة صفات جوهرية نعتبرها أهم الخصائص التي يمكن أن تتميز بها الثقافة في أي مجتمع بصفة عامة لعل منها [1]:

1- أن الثقافة **مكتسبة** بمعنى أن الفرد يتعلمها عن طريق التنشئة الاجتماعية منذ مولده في أسرته ويستزيد اكتسابه لها كلما نما واتسعت دائرة معارفه واحتكاكه بالآخرين في المدرسة والنادى وجماعات الأصدقاء وجماعات المهنة أو الطبقة، وعلى ذلك فإن الثقافة ليست فطرية أو موروثة ولكنها في جملتها نتيجة للاختراع الاجتماعي وتنتقل من جيل إلى جيل عن طريق التعلم سواء كان مقصودا أو غير مقصود.

2- أن الثقافة **مجددة** لأنماط الحياة الاجتماعية في أي مجتمع.

3- رغم أن على توفير سبل الحياة وتنظيم الحياة الاجتماعية بشكل يوفر لأفراد المجتمع ما أمكن من حاجاتهم المعيشية، وطرق الحصول عليها، إلا أنها تختلف في الوسائل المؤدية إلى إشباع هذه الحاجات، وفى شكل التنظيم نفسه، فكل ثقافة مثلا تعمل على توفير الأكل وطرق الحصول عليه للناس، إلا أن ثقافة مجتمع ما تعتمد على الزراعة في ذلك، بينما تعتمد ثقافة مجتمع آخر على الاستيراد، وكذلك الحال في طريقة إعداد الطعام في كل ثقافة، حيث نلاحظ اختلافها من مجتمع إلى آخر...وهكذا.

4- أن الثقافة **إنسانية** أي خاصة به ومن صنعه وهو حفيظ عليها.

5- تتأثر ثقافة كل مجتمع بالخبرات والظروف البيئية والجغرافية والطبيعية

---

(1) لمزيد من التفصيل :

- **أحمد رأفت عبد الجواد: مرجع سابق، ص ص 84 – 89.**
- **على عبد الرازق جلبي: مرجع سابق، ص ص 285 – 288.**
- **أحمد أبو زيد: مرجع سابق، ص ص 192 – 193.**

والبيولوجية، وكذلك بالأوضاع الاجتماعية المحيطة بالمجتمع، فثقافة البدوي مخالفة لثقافة الحضري، وثقافة مجتمع آخر كالقرية غير ثقافة مجتمع الصناعة...وهكذا.

6- رغم أن كل مجتمع يجتهد في الحفاظ على ثقافته المميزة له، فإن الثقافة عرضة للتغير بفضل ما تضيفه إليها الأجيال الجديدة من خبرات وأدوات وقيم ومصطلحات لفظية.... وغيرها، هذا وتختلف سرعة تغيرها من مجتمع إلى آخر.

7- تنتشر الثقافات وتنتقل من مجتمع إلى آخر عن طريق **وسائل الاتصال المختلفة** وعن طريق **الغزو** أو **الاحتكاك الثقافي**، كما يحدث في حالة الإيفاد للتعليم والابتعاث لدول أجنبية لاكتساب علوم أو مهارات فنية جديدة، أو في استيراد الكتب والمجلات العلمية أو عن طريق الاستعمار بأشكاله المتعددة.

8- الثقافة **أكبر من مجموع أجزائها**، فهي لا تدرك عن طريق تشريحها إلى عناصرها بحيث تفهم جزءا جزءا أو عنصرا عنصرا، وإنما هي كل متماسك لا يمكن فهمها إلا جملة.

9- اللغة **كوسيلة للاتصال الرمزي** تعتبر أساسا هاما من مكونات أي ثقافة، كما أنها عاملا هاما يعمل على تراكم التراث الثقافي وزيادته، وإمكان انتقاله من جيل إلى آخر داخل المجتمع، ومن مجتمع إلى آخر، وهى في الوقت ذاته أساس هام في عملية التنشئة الاجتماعية.

10- الثقافة **مجتمعية** بمعنى أن ثقافة المجتمع هي أساس ثقافة الجماعات، وأن ثقافة الجماعات هي أساس ثقافة الأفراد، وليس معنى ذلك أن كل

عناصر الثقافة لابد وأن يتبعها كل أفراد المجتمع، فهناك ثقافات تتبعها فئات أو جماعات معينة في المجتمع، بينما لا تطبقها جماعات أخرى، وما يقال عن الجماعات يقال على الأفراد، وهذا يعنى أن الثقافة يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام تبعا للفرد والجماعة والمجتمع وهي" المتغيرات، الخصوصيات، العموميات".

11- للثقافة **جانبان، ثقافة مادية** "وتشمل كل ما يصنعه الإنسان في حياته العامة، وكل ما ينتجه العمل البشرى من أشياء ملموسة، وكل ما يحص عليه الناس عن طريق استخدام فنونهم التكنولوجية، **ثقافة غير مادية** وتشتمل على مظاهر السلوك التي تتمثل في العادات والتقاليد التي تعبر عن المثل والقيم والأفكار والمعتقدات.

12- الثقافة **متنوعة المضمون**، فقد نجد تنوعا في مضمون الثقافات قد يصل إلى حد التناقض، فقد نجد أن أنماط السلوك التي يتبعها مجتمع ما، ويعتقد أنها الفضيلة بعينها، قد تعتبر جريمة في مجتمع آخر يعاقب عليها قانونه.

13- الثقافة **متشابهة**، فإذا كانت الثقافة متنوعة في مضمونها لدرجة التناقض، فإن الإطار الخارجي لجميع الثقافات واحد ومتشابه مهما اختلفت الثقافات في سلم التقدم الحضاري، ففي كل ثقافة نجد أشكالا ثقافية واحدة مثل " نظام العائلة ،اللغة ،الدين، والفنون ،النظم الاجتماعية المختلفة، والتشابه هنا ينصب على الشكل العام الخارجي للثقافات.

14- الثقافة **تراكمية**، أي عملية نمو الثقافة وتطورها من جيل إلى جيل حتى تصل إلى شكلها الحاضر.

15- الثقافة تميل إلى أن تصبح **متناسقة وكلا متكاملا**، ومعنى هذا أن مكوناتها المتعددة والمختلفة تتوازن توازنا متحركا خلال الزمن باستمرار.

16- تتميز الثقافة بأنها **انتقائية**، ذلك لأن انتقال الثقافة من جيل إلى جيل وتوارثها يختلف عن نقل وتوارث الصفات الجسمية والحيوية في الكائنات الحية الذي يتم طبقا لنظام ثابت ودقيق، وأن انتقال الثقافة لا يتم بمثل هذا التحديد، وإنما يتم غالبا بطريقة واعية وانتقائية، بحيث ينتقى الجيل الذي يتلقى عناصر الثقافة بعضها، ويستبعد البعض الآخر طبقا لظروفه وحاجاته.

17- الثقافة **نسق**، بمعنى أنها كل معقد تتكون من ثلاثة قطاعات أو وحدات أو جوانب أساسية هي:

أ- الجوانب الإدراكية Cognitive، وتشمل نسق المعرفة الذي يتدرج من المعتقدات إلى التكنولوجيا، فعن طريق هذا الجانب من الثقافة نتمكن من معرفة طريقة استخدام آلة معينة في الإنتاج.

ب- الجوانب المادية Material، وتشمل الأدوات والآلات واللعب والسيارات...وغيرها من الأشياء المادية التي تستخدم في تشكيل وتغيير البيئة.

ج- الجوانب المعيارية Normative، وتتضمن المعايير أو القواعد التي تنظم السلوك، كما تتضمن القيم أو الأفكار المجردة حول ما هو صواب وما هو خطأ، بالإضافة إلى أنها تتضمن الجزاءات " الثواب والعقاب " التي تطبق بطريقة رسمية أو غير رسمية لفرض الامتثال للمعايير ولضبط

السلوك المنحرف.

خامسا: **مقومات التكامل الثقافي**:

تبين مما سبق أن الثقافة كل معقد تشتمل على سمات ثقافية عامة، بالإضافة إلى الخصوصيات والبدائل الثقافية ونجد أن الثقافة في حفظها لكيانها والمحافظة على نمطها العام تعمل على إدماج المتغيرات المختلفة في كيانها، بحيث يقدر لها البقاء والاستمرار ككيان له نمط عام، وهذا ما يطلق عليه " التكامل الثقافي ".

والتكامل الثقافي يعنى" أن هناك قدرا معينا من الانسجام الداخلي والارتباط الوظيفي بين عناصر الثقافة المختلفة، وبالتالي بين عناصر المجتمع المختلفة يضمن للثقافة عدم انحلالها، وأن عدم وجود هذا التكامل في الثقافة يسبب اضطرابا للفرد ويفقد المجتمع كفاءته وتظهر أنواع من الصراع قد تكون خطيرة لما يترتب عليها من فقدان للتكيف داخل الجماعة ".

وليس المراد من التكامل الثقافي أن تظل الثقافة على حال واحدة من الجمود والثبات، أو أن يكون هذا التكامل تاما كاملا، ولكن المقصود من التكامل الثقافي أن تكون هناك درجة معينة من الاتزان بين العناصر المختلفة التي تكون الثقافة.

كما يلاحظ أن العموميات الثقافية هي التي تعطى المجتمع تجانسه الداخلي ضد قوى التغيير التي تمثلها الخصوصيات الثقافية، وليس من شك في أن أية محاولة لدراسة الثقافة التي تسود أي مجتمع من المجتمعات تنطوي على كثير من الصعوبات الناشئة عن ضرورة البحث عما تنطوي عليه السمات الثقافية العامة من بديلات وما يختفي تحتها من خصوصيات، حتى يمكن فهم الثقافة في وحدتها وتكامل أجزائها، فهما يكن من تعقد الثقافة

وتركيبها، فهي كل واحد متكامل [1].

ترى " **روث بنديكت** " Ruth Benedict أن جميع الثقافات في جميع مستويات التعقيد والبساطة، قد استطاعت أن تحقق التكامل الثقافي، فعندما تفحص وتقارن طرق السلوك المختلفة التي تكون محتوى ثقافة معينة، نجد أن هذه الثقافة تدور حول مركز معين هو النمط الثقافي [2].

إلا أن " **أوبلر** " M.Obler قد انتقد " **بنديكت** " في أن الثقافة لها طابع واحد تخضع له في جميع أنواع السلوك الموجودة في المجتمع، وذهب إلى أن هناك محاور متعددة لكل ثقافة لا محورا واحدا، ويرى" **أوبلر** " أنه لا يوجد محور واحد يدور على أساسه التكامل الثقافي بل أن هناك محاور متعددة في كل ثقافة يدور حولها هذا التكامل الثقافي[3].

وفى المجتمعات التقليدية غير الصناعية، نجد أن الثقافة عادة تكون متكاملة إلى درجة كبيرة، إذ أن هذه المجتمعات عادة ما تكون صغيرة الحجم نسبيا وتتشابه القيم بين أعضاء هذه الجماعات، ومن ثم تكون هذه الثقافة متجانسة بشكل عام، كما أن درجة التغير الثقافي تكون ضعيفة جدا في المجتمعات التقليدية.

أما في المجتمعات الصناعية الحديثة، فعادة ما تكون العناصر الثقافية المختلفة ليست على درجة كبيرة من التكامل الثقافي، فغالبا ما تكون هذه المجتمعات الصناعية كبيرة الحجم، وتتضمن جماعات كثيرة متباينة، لكل

---

(1) أحمد أبو زيد : مرجع سابق، ص 202.

(2) Ruth Bendict, Patterns of culture,Houghton-MiflinCo. &Rutledge and Kegan, Boston &london,1934, p.46.

(3) M.Obler, : Themes As Dynamic Forces in culture , in American journal of sociology, L1,No.3, 1945, pp.192.

منها طريقة حياة مختلفة إلى درجة ما عن غيرها من الجماعات، فثقافة هذه المجتمعات غير متجانسة، كما أن هذه المجتمعات تتميز بسرعة عمليات التغير الاجتماعي والثقافي، ويترتب على ذلك حاجة العناصر الثقافية المختلفة إلى التكيف مع هذه المتغيرات [1].

من هنا يتضح أن الفرد يتفاعل مع عناصر ثقافته التي يحيا في إطارها، فبجانب أنها تكيف الفرد كنوع بيولوجي مع البيئة التي يعيش فيها، تعطيه القدرة على التصرف في أي موقف، كما تهيئ له أساس التفكير والشعور، كما تزوده بما يشبع به حاجاته البيولوجية، كما تعمل على إعطاء الإنسان شعورا بالانتماء، ذلك لأنها تربط الناس معا في جماعة يشعرون بالاندماج فيها.

(1) أحمد أبوزيد : مرجع سابق، ص 203.

المراجع

أولا: المراجع العربية

1- أحمد الخشاب: التفكير الاجتماعي "دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية"، دار المعارف، القاهرة، 1970.

2- السيد الحسيني، محمد علي محمد: الفروق الريفية الحضرية في بعض الخصائص السكانية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، 1973.

3- انشراح الشال: مدخل في علم الاجتماع الإعلامي، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1985.

4- إقبال أمير السمالوطي: التخطيط الاجتماعي، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1991.

5- أحمد أبو زيد: البناء الاجتماعي " مدخل لدراسة المجتمع " الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية،1975.

6- أحمد أبو زيد: الطريقة الأنثروبولوجية في دراسة المجتمع، حوليات كلية الآداب، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد العاشر 1956.

7- أحمد بدر: أصول البحث العلمي ومناهجه، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الخامسة، 1979.

8- ايفانز بريتشارد: الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة أحمد أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1974.

9- أحمد رأفت عبد الجواد: مبادئ علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1990.

10- أحمد زكي صالح: علم النفس التربوي، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1992.

11-الفاروق زكي يونس: الخدمة الاجتماعية والتغير الاجتماعي، عالم النشر، القاهرة، 1978.

12- أرمان كوفيليه: مقدمة في علم الاجتماع، ترجمة محمود قاسم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1966.

13- السيد على شتا: البناء الثقافي للمجتمع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1995.

14- السيد محمد بدوي: مبادئ علم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة،1971.

15- أوسكار لانج: الاقتصاد السياسي، ترجمة محمود قاسم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1966.

16- ثيودور كابلو: البحث الاجتماعي " الأسس النظرية والخبرات الميدانية"، ترجمة محمد الجوهري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993.

17- حسن الساعاتي: تصميم البحوث الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت، 1982.

18- حسن همام وآخرون: مدخل إلي علم الاجتماع، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1982.

19- خلاف خلف الشاذلي: التخطيط والتنمية في عالم متغير، دار التيسير، المنيا، 2007.
20- جمال زكي، السيد يس: أسس البحث الاجتماعي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1962.
21- رينيه مونيه: المدخل إلي علم الاجتماع، ترجمة السيد محمد بدوي، دار الثقافة للنشر، الإسكندرية،1969.
22- زيدان عبد الباقي: قواعد البحث الاجتماعي، دار المعارف، القاهرة، 1974.
23- سناء الخولي: المدخل إلي علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992.
24- ستيفن كول: منهج البحث في علم الاجتماع، ترجمة عبد الهادي الجوهري، أحمد النكلاوي، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة،1980.
25- سمير نعيم أحمد: المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة،1987.
26- شارل بتلهايم: التخطيط والتنمية، ترجمة إسماعيل صبري عبد الله، دار المعارف، القاهرة، 1966.
27- شعبان الطاهر الأسود: مبادئ علم الاجتماع، منشورات جامعة السابع من إبريل، ليبيا، 2004.
28- صلاح مصطفي الفوال: مناهج البحث في العلوم الاجتماعية، مكتبة غريب، القاهرة، 1997.
29- طلعت إبراهيم لطفي: أساليب وأدوات البحث الاجتماعي، دار غريب للطباعة، القاهرة، 1990.
30- عادل عز الدين الأشول: علم النفس الاجتماعي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1979.
31- عاطف وصفي: الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار المعارف، القاهرة،1977.
32- عبد الباسط محمد حسن: أصول البحث الاجتماعي، مكتبة وهبة، القاهرة،1989.
33- عبد الباسط محمد عبد المعطي: البحث الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990.
34- عبد الحليم محمود السيد: علم النفس الاجتماعي والإعلام " المفاهيم الأساسية "، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة،1979.
35- عبد الحميد لطفي: علم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة،1976.
36- عبد الحميد محمود سعد: إجراءات البحث الاجتماعي، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1980.
37- عبد الرحمن بدوي: مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963.
38- عبد العزيز عزت: تطور المجتمع البشري عند ابن خلدون، منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة،1962.

39- عبد العزيز عزت: فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع الحضري، القاهرة، 1951.
40- عبد الهادي الجوهري: مدخل لدراسة المجتمع، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1997.
41- عبد الله عامر الهمالي: أسلوب البحث الاجتماعي وتطبيقاته، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا، 1994.
42- عدلي علي أبو طاحون: مناهج وإجراءات البحث الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1998.
43- علياء شكري وآخرون: قراءات معاصرة في علم الاجتماع، دار النشر المتحدة، القاهرة، 1972.
44- على عبد الرازق جلبي وآخرون: البحث العلمي الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1997.
45- علي عبد الرازق جلبي: مقدمة في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999.
46- علي عبد الواحد وافي: ابن خلدون، مكتبة نهضة مصر، القاهرة،1955.
47- غريب سيد أحمد وآخرون: المدخل في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995.
48- غريب سيد أحمد وآخرون: المدخل إلي علم الاجتماع المعاصر، دار الكتب الجامعية، القاهرة، 1974.
49- غريب سيد أحمد: تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1986.
50- غريب عبد السميع غريب: البحث العلمي الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2003.
51- فؤاد البهي: علم النفس الاجتماعي، دار الفكر العربي، القاهرة،1998.
52- فوزية دياب: نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1996.
53- قباري محمد إسماعيل: أصول علم الاجتماع ومصادره، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1978.
54- ماكيفر وبيدج: المجتمع، ترجمة علي أحمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1961.
55- محمد الجوهري وآخرون: الطفل والتنشئة الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،

.1991
56- محمد الجوهري وآخرون: دراسة علم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة، 1982.
57- محمد الجوهري وآخرون: مقدمة في علم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة، 1980.
58- محمد الجوهري، عبد الله الخريجي: طرق البحث الاجتماعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة،1983.
59- محمد الغريب عبد الكريم: البحث العلمي "المنهج والتصميم والإجراءات"، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية،1982.
60- محمد سيد فهمي: قواعد البحث في الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية،2001.
61- محمد صفوت الأخرس: التخطيط الاجتماعي في مجال رعاية الأطفال والشباب، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، العدد الأول، 1983.
62- محمد طلعت عيسى: البحث الاجتماعي "مبادئه ومناهجه"، مكتبة القاهرة الحديثة، 1963.
63- محمد عاطف غيث: الموقف النظري في علم الاجتماع المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996.
64- محمد عاطف غيث: علم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة،1963.
65- محمد عاطف غيث: علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993.
66- محمد عاطف غيث، غريب سيد أحمد: محاضرات في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988.
67- محمد عبده محجوب: مقدمه في الاتجاه السوسيوأنثربولوجي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية،1977.
68- محمد علي محمد: البحث الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999.
69- محمد علي محمد: تاريخ الفكر الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999.
70- محمود عوده: تاريخ علم الاجتماع، دار النهضة العربية، بيروت،1984.
71- محمود عوده وآخرون: نشأة علم الاجتماع "دراسة في سوسيولوجيا المعرفة" في دراسات في علم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة،1974.
72- محمود قاسم: المنطق الحديث ومناهج البحث، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1953.
73- مختار حمزة: أسس علم النفس الاجتماعي، دار المجتمع العلمي، جدة ،1979.
74- مصطفي الخشاب: علم الاجتماع ومدارسه، الكتاب الأول، لجنة البيان العربي، القاهرة، 1958.

75- معن خليل عمر وآخرون: المدخل إلي علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004.

76- مها الكردي: الطفل في أجهزة الإعلام، دراسة نفسية استطلاعية، المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية، القاهرة،1983.

77- مهجه عبد المعز عطية: العلاقة بين التنشئة الاجتماعية والتوافق النفسي لدي الأطفال، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، 1991.

78- وليم ولامبرت وولاس: علم النفس الاجتماعي، ترجمة سلوى الملا، دار الشروق، القاهرة، 1993.

79- هدي محمد قناوي: الطفل " تنشئته وحاجاته "، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1993.

80- ياس خضير البياتي: الفكر الاجتماعي من عصر الحكمة إلى عصر العلم، منشورات الجامعة المفتوحة، طرابلس، ليبيا، 2000.

ثانيا: المراجع الأجنبية

81-Bernard Philips, Sociology from concepts to practice, N.Y, Mc, Graw. Hill Book co., 1979.

82-Biesans, Biesanz: Modern society, N.Y,1954.

83- Bottomore & Matimilein, eds, Karl Marx: Selected writtings in sociology and Social philosophy, Ruble, Bellican, Book 1963.

84-Chapin.F.S., Experimental Designsin Sociological Research, N.Y, 1944.

85- C.W. Mills: The Marxists, N.Y, Dellpab, Company, co, Enc. 1962.

86- Edward F. Ziegler and Michael E. Lamb, Socialization and Personality Development, N.Y, Oxford University Press, 1982.

87- Ely. Chinoy: Sociological Perpective, R. House, N.Y, 1986.

88- Fair Child. (ed): Dictionary of Sociology, N.Y, 1944.

89- Green. A: Sociology, N.Y, 1960.

90- Johnson. H.: Sociology, London,1961.

91-JamesW.Vanderzanden: The Social Experience, New York,

McGRAW, hill, publishing Company,1990.

92- K. Langton: Political Socialization, London, Oxford university press,1969.

93 Leonard Broom and Others: Sociology, California, Wadsworth Company,1990.

94-Maciver & Page: Society, London,1953.

95- Mair, L.: An Introduction to social Anthropology, oxford university press,1965.

96-M. Biesanz & J. Biemans: Introduction to Sociology, Prentice Hall, INC., Englewood Cliffs, New Jersey, 1978.

97- Marx. K. Selected: Writing in sociology and social philosophy, apelican Book, middle sex, England,1967.

98-Miltton, L. Barron. edt, Contern Porary: Sociology Dodd, Meud, New York, 1965.

99- M. Weber: Theory of social and economic organization, oxford university press, New York, 1974.

100-Ogburn & Nimkoff, A.: Hand Book of sociology London, 1960.

101-P. Young: Scientific social surveys and Research N.Y, 1947.

102-Ruth Bendict: Patterns of culture, Houghton Miflin co. &Rutledge and kegan, Boston & London, 1934.

103-Sanford Labovitz &Robert Hagedorn, Introduction to social research, N.Y, McGraw. Hill Book company,1976.

104-Sorokin. P: Society, Culture, and Personality, N.Y, 1947.

105-Stephenson, H.: Hand Book of Public relation, N.Y, Mac, Graw,1960.